مولد الكرار*

الشهيد الشيخ محمد آل حيدر •

هَبني مَلكتُ مِنَ القريضِ سَبيلا ... وَعَلى يَدي نَمى اليراعُ خميلا
وَصحبت ربّاتِ الخيالِ عَلى الهوى ... وَسحبتُ طوعَ دلالهنَّ ذيولا
وَشربتُ مِن مقلِ الكواكبِ خمرةً ... وَنهبتُ مِن شفة الضحى تقبيلا
وَصعدتُ في قلبي المجنحِ قمة ... للشعرِ أتعبتِ النبوغَ وُصولا
وَرفعتُ في كِلتا يَديَّ سراجَهُ ... وَتخذت روحي للسراجِ فَتيلا
وَأكادُ أنتزعُ الشرارةَ تَرتمي ... بفمِ المَغيبِ وَألمسُ المجهولا
وَسنابل الشعراءِ حَولَ مَحابري ... تَصحو وَتسكرُ بكرةً وَأصيلا
وَلقد دعوتُ الشعرَ يومَ حصادِهِ ... وَمسحتُ ثغرَ هزارهِ لِيقولا
وَالدهرُ يعرض للكرامةِ وَالنهى ... في مولدِ الإيمانِ جيلاً جيلا
فعصتْ عَليَّ حِسانُهُ وَلعلّها ... وَجدتْ بصدرِ نديها جبريلا

* * * * *

يا مولدَ الإيمانِ فجَّرتَ السَّما ... نبعاً عَلى شجرِ الخلودِ هطولا
واستقبلَ الفجرُ المظفَّرُ بالشذا ... فَجراً أطلَّ عَلى الحياةِ جَميلا
وَعلى ضفافِ العبقريةِ زَورقٌ ... في حضنِهِ نامَ الشراعُ قليلا
ألقى حمولَتَها عَلى شطآنِها ... وَإذا صدقت رسالة وَرسولا

* منتقاة من ديوان للشاعر.

فتسابقا وَالطفل ساذج لحظه يهب النجوم جناحها المبلولا
هشت لأحمد روحه ولطالما هش الكمي إلى الحسام صقيلا
فتلمسته أنامل نبوية أرأيت عيسى يلمس الإنجيلا
قلنا سنتخذ النجوم لمهده ظلاً وأنفاس الضحى تهليلا
حتى إذا كشف الدجى فإذا به عقد الإمامة فوقه إكليلا

* * * * *

يا مولد الإيمان تلك شرارة لمعت على شفق الدنا قنديلا
عبرت على عبر القرون وربما ألقت على جرح الدجى منديلا
واستوضحت للركب يزحف صاعداً نهجاً أغر وعالماً مأهولا
في خاطر الأجيال من لفتاتها سر تعسر منطقاً وحلولا
وصحائف التاريخ حبلى ما رأت عيناي ما يلد الصباح نبيلا
حتى تنزّل من ضميرك سره كالآي يحسن وحيه التنزيلا
فأقمت مجداً واحتضنت عقيدة وزرعت تاريخاً وصنت ميولا
وأنرت للدين الحنيف مسالكاً ونفضت عن يقظاته التضليلا
وطبعت أجنحة العقيدة بالسنا وسللت من محرابها ضليلا
وإذا جنيت على النبوع فطالما سقط الفراش على الضياء قتيلا

* * * * *

أأبا الفتوح الحمر لاهثة اللظى وأنا الحسام إذا هويت خليلا
ومعلم الأحرار درس جهادها لتصون تاريخاً وتحرس جيلا
هذبت بالسيف المثقف مثلما (علمت بالقلم القرون الأولى)
وإذا نظمت التضحيات قصيدة صيرت مطلعها الدم المطلولا
وصفعت يافوخ الضلال فلم تدع فيه عطاساً كي يقول فضولا
وسموت للقيم الرفيعة نابغاً ومددت في جفن الكواكب ميلا

وجناحك القرآن تنهض للسما فيه لتفتح بابها المقفولا
عليك تهزأ بالقرون فهل ترى يدنو إليك مغفل ليطولا
حسدوك فجراً والعيون مريضة فاستبدلوا ذاك الطلوع أفولا

* * * * *

أأبا الحسين وإنها لرسالة للعدل ما شهدت سواك رسولا
لمت عليك جناحها وأظنها وهبتك سيف جهادها المسلولا
أوقفت حول سطورها رصداً لها قلباً أشماً وساعداً مفتولا
لمعت ولكن من جراحك شعلة ونمت ولكن من دماك حقولا
مرت على وجه اللهيب فاطلعت كالتبر وجهاً باللظى مصقولا
وإذا اختصرت لها الطريق فحسبها بدم الفؤاد لها أنرت سبيلا
حتى إذا نسج الزمان رواية بعد الشقاء لها أدار فصولا
يا سيدي غفت الشرارة وانطفى المصباح وامتدّ الظلام قليلا
وتسلمت شرقية من قبلها غربية بسلاحنا تضليلا
غزت الشباب ومن صنيع خداعها ركبت إليه بلادة وخمولا
وتبنت الجمع الغرير رسالة يبني ويهدم في يديه الجيلا
مدنية وحضارة كلتاهما سيفان حزّا أنفساً وعقولا
أنا لا أحاذر أن تلين صفاتنا بيد الشقاة ولا أخاف دخيلا
إني على ثقة بأن كيانها ملك البسيطة عرضها والطولا
لكنما خوفي عليها من يدٍ بالأمس تحسن عندها التقبيلا
نعمت بها دهراً ومن زهراتها حضنته ظلاً في الحياة ظليلا
أنا لا أقول عمائم فلربما أو ذي الحقيقة أن أقول فضولا
حسب الضمير إذا التجارب أقبلت أن لا يمر أمامها المشلولا
وإذا تفجرت الشرارة في الدجى أن لا تمدّ لها البصائر حولا ■

كلمة العدد

دعوة إلى الله

المشرف العام ١٠

قرآنيات

موقع الحوار في النص القرآني

د. علي المؤمن ١٢

السَّكينة في القرآن الكريم

م. هاشم جعفر الموسوي ١٥

آمن الرسول

الكافي ستة عشر ألف رواية.. على طاولة الحوار

علي الفحام ١٨

استطلاع المجلة

مرقد الحمزة الشرقي.. نبع ينهل منه الظامئون

حيدر الجد ٢٨

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٤٤

واحة الأدب

ظاهرة التكرار في نهج البلاغة.. المثل أنموذجاً

م. م. عبد الهادي عبد الرحمن ٤٨

قصيدة: قربان للوطن المؤجل

جاسم الصحيّح ٥٨

قصة: وَضاع الأمل

بنت العراق ٦٢

ص ٧٢

ص ٩٦

ص ٨٤

للفضيلة نجومها

من أعلام كربلاء.. الشيخ محمد حسن أبو المحاسن

سلمان هادي آل طعمة ٦٤

علماء مغمورون.. الشيخ عباس الرميثي أنموذجاً

حسين جهاد الحساني ٧٢

إضاءات السيرة

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في طريقه إلى صفين

حسن عبد الأمير الظالمي ٧٦

توجيه الأئمة عليهم السلام أصحابهم للفتيا

السيد أسعد القاضي ٨٤

طروحات عامة

عجز الموازنة العامة.. المبررات والمعالجات

أ. د. رضا صاحب أبو حمد ٩٦

البعد الإنساني في العمارة النجفية

د. عبد الله سعدون المعموري

م. محاسن هادي خلف ١٠٠

أمل الآمل في ملتقى آمال وأفكار مجلة ينابيع

أ. د. محمد باقر فخر الدين ١١٤

الشمس والقمر لم يعودا رفيقين!

د. عبد الأمير المؤمن ١٢٠

قراءات

قراءة وردود في تراثنا

حسين جودي الجبوري ١٢٤

فهارس مجلة (ينابيع) ٩٠

أجوبة مسابقة العدد (٢٨) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسابقة العدد (٣١) ١٢٩

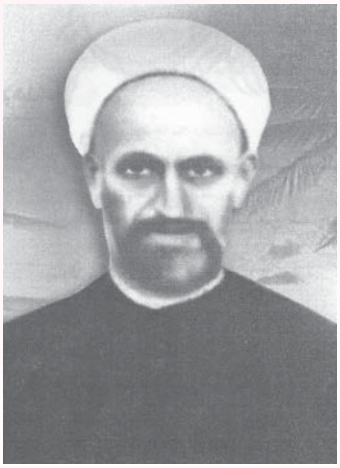

ص ٦٤

ص ١٠٠

ص ٥٨

دعوة إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سبق أن تعرضنا في كلمات سابقة إلى التخوف من انتشار الدعوة اللادينية في أوساط مجتمعنا المؤمن بعد استقرار الأوضاع وأخذ الوضع السياسي العام اتجاهاً معيناً، مما يؤدي إلى الانحراف والانجراف نحو الدعوة وإشغال الوسط المثقف بالشبهات والطروحات ذات الطابع المشوش لحدوث ثغرات معينة في أذهان الوسط المذكور الذي هو العمدة في المجتمعات عامة، وما يعكسه وبشكل مباشر على المجتمع، سواء الإسلامي منه أم غيره من المجتمعات الأخرى.

ومن هنا جاء التأكيد على ضرورة نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة ثقافة أهل البيت عليهم السلام في جميع الوسائل لتصبح في متناول الجميع من أبناء لحمتنا استعداداً لمجابهة مثل هذه الشبهات التي قد تثار بين الحين والآخر.

واليوم أصبح الأمر الذي كنّا نتخوف منه واقعاً ملموساً في ثنايا الصحف الصباحية ومطبوعات المجلات الشهرية وغيرها، وبدأت تنشط الخلايا التي أصابها الضمور طوال مدة ليست بالقصيرة وتأخذ حيزها من الورق وعبر وسائل الإعلام بشكل منظم، وأصبح القائمون عليها والمنظرون لها يضعون الدراسات المفصلة في قوة تأثير مثل هذه الدعوات وردود أفعال الوسط الذي تثار فيه.

وقد صاحب ذلك أمران لا يقلان أهمية من ذلك:

الأول: الانحراف الأخلاقي الذي كنّا نتخوف منه هو الآخر ونؤكد على ضرورة العمل على إيجاد أرضية تتوازن فيها المعطيات الخارجية التي يعيشها الشباب اليوم من الفراغ الكبير وعدم الثقافة الدينية والبطالة العامة وغير ذلك من الأمور التي تساهم في خلق أجواء الانحراف الأخلاقي، ناهيك عن العمل الجاد والمنظم للإعلام المرئي الغازي للبيوت والحانات العامة بشكل مريع، ليصبح الشاب فريسة الشهوات والأطماع وتتغلغل فيه الثقافة الغربية المنحرفة التي تستهدف المجتمعات عن طريق شبابها تلك القوة الفاعلة في المجتمع وذات الدور الرئيس في رقيه وانحطاطه.

الثاني: فتح المجال من قبل الجهات المسؤولة

وأصحاب الشأن بعنوان الحرية واحترام الرأي الآخر وليت شعري هل أن الانحطاط الأخلاقي رأي ليحترم..؟! أو الشبهات الفكرية التي تثار حرية رأي لابد من سماعها..؟! ولماذا هذا التعامل مع هذه العناوين المحببة للنفوس للتدليس على عامة الناس والتي هي الأخرى قد تساهم في التضليل الفكري وتشويش المفاهيم التي عليها العامة ليصبح من كان ينتظر منه دفع المفاسد وإصلاح المجتمع قد اشترك مع من عمل على ذلك.

ومن هنا ندعو جميع العاملين والمبلغين إلى أمرين:

الأول: حث المسؤولين وأصحاب الشأن على تغيير طريقتهم في التعامل مع الأحداث وتوخي الصرامة والجدية وتنبيههم إلى السلبيات التي تترتب على ذلك، والتي تعود عليهم.. بل هم أول من يجني ثمارها، لأن تجاهل واقع البلد، وفسح المجال للآخرين، يعكس واقعاً سلبياً على السلطة الحاكمة، مادام البلد بعد لم يسلخ عن هويته المسلمة. بل هو الذي عرف بتضحياته العظيمة من أجل الدين وإعلان راية الحق، ويكفي ما نسمعه اليوم من التذمر والتوتر إزاء ذلك من قبل عامة الناس، ممن يهمهم الواقع الذي نشير إليه، وهم يعزون ذلك إلى من أشرنا إليهم، ويعتبرونهم وراء كل ما يحدث من انحراف أخلاقي، ونشر ثقافة التشويش في أوساط المجتمع الذي يعاني من الفراغ الفكري والخارجي.

الثاني: إشاعة الثقافة الدينية الهادئة في أوساط المؤمنين والتذكير بالمآسي التي انتابتهم في الأمس القريب، وقد أنعم الله تعالى عليهم بأن أزال عنهم تلك الظلمات، ومتعهم بهذه الحرية اليوم، مع صفاء الأجواء وهدوء البال، فالحري بهم أن يشكروا نعمته بالتوجه إلى عبادته، والاهتمام بفروضه، وإقامة شعائره، وغير ذلك من أسباب إدامة النعمة والحفاظ عليها، وقد سنّ الله تعالى أن بالشكر تدوم النعم، فانظر ما خاطب به نوح ربه ذلك الخطاب البليغ الذي يعطي مؤشر سنةِ الله في أرضه، فإنه بعد أن عرض لربه أنه كلما كان يدعو قومه ليغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وامتنعوا من سماع هذه الدعوة قال: ﴿**ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾ فإنه يتضح فيه أن الاستغفار والتوجه إلى الله تعالى سبب رئيس من أسباب الخير والنعم التي يحظى بها العباد في الأرض، فمطر السماء، والأموال، والبنون، والجنات، والأنهار، كلها تُنعم بالاستغفار والتوجه إلى الله تعالى، وإلى شكر نعمه وإحسانه، وفي مقابل ذلك نجد النتيجة المفجعة التي مني بها أهل الأرض في زمانه عليه السلام هو العذاب بالغرق العظيم، وكان ذلك بسبب الخطايا والذنوب فقال تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللهِ أَنصَارًا**﴾ ونظير ذلك في القرآن الكريم كثير، كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ كما امتلأت المجامع الحديثية عن أهل البيت عليهم السلام ما هو بمعنى ذلك، فعلى المعنيين حثّ المؤمنين على التوجه إلى الله تعالى بدلاً من النسيان والانشغال بالشهوات وما يستتبع ذلك.

ونسأل الله تعالى أن نكون من سمع فوعى وأجاب داعي ربه فهدى. اللهم إنا نستغفرك من ذنوبنا وإسرافنا في أنفسنا ■

المشرف العام

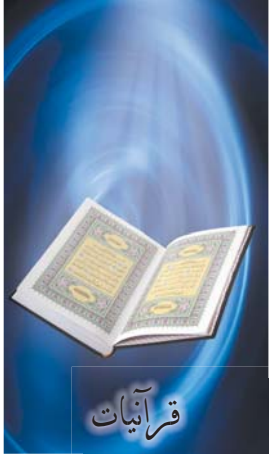

موقع الحوار في النص القرآني

د. علي المؤمن •
المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية/ بيروت

توفر البحوث القرآنية لكاتبها ـ عادة ـ فرصة رائعة لتتحرك تلاوته المعتادة للقرآن الكريم إلى حوار عميق مع كتاب الله تعالى، ذكراً وتأملاً وحديثاً واستنطاقاً وتساؤلاً.

ينابيع

وأول ما يستجد للباحث حينها، عظمة الحوار مع القرآن الكريم وحلاوته وتأثيره. إذ أن كلام الله تعالى يستجيب لتأملات الباحث وذكره، ويُجيب على كل تساؤلاته، الأمر الذي يحوّل الموضوع من بحث في (الحوار في القرآن) إلى (حوار عقلي ووجداني مع القرآن).

الحوار عنوان الرسالة

يتخذ الحوار موقعاً محورياً في النص القرآني، إذ أكد عليه القرآن الكريم وأولاه أهمية بالغة وطرحهُ في أشكال ومضامين متنوعة، حتى لا تكاد تخلو سورة من إحدى صور الحوار، التي طرح القرآن من خلالها مقومات الحوار وشروطه وآدابه

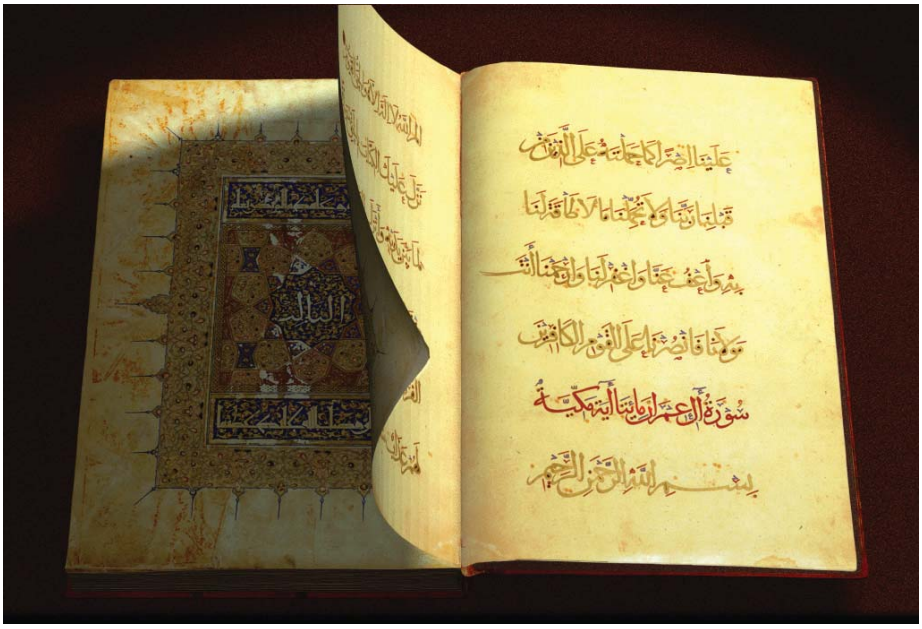

وتأثيره، وطرح إلى جانبها مئات النماذج التطبيقيّة التي مارست الحوار في الواقع.

من خلال تربية الإنسان على الحوار، يعمل القرآن على توظيف فطرة الجدل في الإنسان لصالح الأهداف الربانية لوجود الإنسان على الأرض فالإنسان مجبول على الجدل (وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) (الكهف: ٥٤) من منطق أفقه الذي ينفتح فطرياً على الكسب المعرفي، والاكتشاف والتحرك في دائرة الأشياء والعوالم المحيطة به فضلاً عن الاندفاع باتجاه التكامل والتعاون والتطوير في كل مجالات الحياة والسعي للتوصل إلى إجابات لتساؤلاته وما يعلق في عقله ووجدانه من قضايا ومشاكل تبحث عن الحل.

هذا الأفق يجعل الإنسان في حوار دائم مع النفس ومع الخلق ومع الخالق. وقد تتراجع أو تسكن أو تتطور حالة الحوار وفقاً للعوامل التي تدخل في صناعة الظروف، ومن هُنا نرى ـ أحياناً ـ أن الصراع السلبي يحل محل الحوار ليستحيل إلى عدوان وعنف أو استكبار وتجبر وفي ظل ذلك تُصادر الكلمة ويقمع الرأي وتقابل الدعوة إلى الخير بالسخرية والاتهام واللغو وتغلق مساحات التفاهم والاشتراك.

أبرز القرآن الكريم حادثين تأسيسيين في مسيرة الإنسانية وكان فيهما الحوار سيّد الموقف، الأول: يمثل بداية مسيرة خلق الإنسان (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: ٣٠) برغم أن الله تعالى لا يحتاج إلى الحوار مع الملائكة أو اسمزاج رأيهم، ولكنه أراد أن يربي الإنسان على حالة الحوار.

والثاني بدأت فيه مسيرة الرسالة الخالدة، إذ يسبق تلاوة السورة الكريمة (اقرأ..) حوار مُدهش كان يقول الرسول

الأعظم فيه: (وماذا أقرأ؟). ولاشك أن السر الذي أودعه الله تعالى في نعمة الحوار التي منّ بها على الكون. هو سرّ بالغ الخطورة وكشفهُ الله تعالى لعباده حين بيّن لهُم تطبيقات الحوار ومدخليته في حركة الكون، باعتباره من مقوماتها الطبيعيّة، وهو ما سنقف عليه من خلال عرض بعض أشكال الحوار ومضامينه.

تجليات الحوار قُرآنياً

يأخذ الحوار ـ أحياناً ـ شكل المحادثة كما في قوله تعالى: (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) (المجادلة: ١) أو معنى الجدال أحياناً أخرى (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) (هود: ٣٢) وذلك مع الأخذ بنظر الاعتبار أن للجدال في القرآن معنيين. أحدهما إيجابي: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥)، والآخر سلبي: (فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (البقرة: ١٩٧).

كما نجد للحوار أيضاً شكل الوحي، بلونيه الإيجابي: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) (النجم: ١٠)، والسلبي: (شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) (الأنعام: ١١٢) وتعطى الشورى مضمون الحوار في قوله تعالى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) (آل عمران: ١٥٩) بما ينطوي على ذلك من استماع للرأي الآخر واحترام للاختلافات والاجتهادات.

وكذلك هناك الحوار بمعنى الاحتجاج: (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ) (الأنعام: ٨٠)، وبمعنى الدعوة إلى الله والخير والمعروف: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ) (فُصِّلت: ٢٣)، والاستفتاء أيضاً: (قَالَتْ: يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) (النمل ٣٢)، والنجوى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المجادلة: ٩)، وبمضمون ذكر الله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ) (البقرة: ١٥٢)، وبمضمون التسبيح أيضاً: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ) (الرعد: ١٣).

وفي هذا الإطار يأخذ الحوار أحياناً شكل الشفاعة: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى) (الأنبياء: ٢٨)، إذا يسأل الأنبياء والأوصياء الله تعالى أن يغفر لبعض المؤمنين ذنوبهم كما يأخذ كما يأخذ الحوار أحياناً أخرى شكل الموعظة أو البشارة والإنذار: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى) (سبأ: ٤٦)، وكذلك بمعنى الشكر: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم: ٧)، وأيضاً بمعنى الاستغفار: (واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربك بالعشيّ والأبكار) (غافر: ٥٥).

وكذلك الدعاء هو من أشكال الحوار: (دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ) (يونس: ٢٢)، والسؤال أيضاً: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت: ٦١)، والسؤال هُنا هو حوار، سواء كان بمعنى الطلب أو الاستفسار والاستفهام، وهناك أشكال ومضامين أخرى للحوار وردت في القرآن الكريم كالتفكر والتعقل والمحاسبة وأحياناً القول وغيرها ■

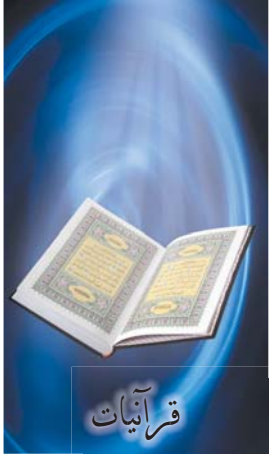

السَّكينة في القرآن الكريم

م. هاشم جعفر حسين الموسوي •
كلية التربية/ جامعة بابل

السكينة: في عرف أهل اللغة (فعيلة) من السكون، والسكون خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سكن الشيء يسكن سكوناً، فهو ساكن. وسكن داره يسكُنها سُكْنى[1]. وفي الصباح (سكن): (السكينة: الوداع والوقار).

ينابيع

وفسر الراغب الاصبهاني[2] السكون بأنه ثبوت الشيء بعد تحرك، وهو يرجع إلى المعنى الذي سبق. وسمي الليل سكناً لسكون الناس فيه عن الحركة بالنوم، قال تعالى: (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) (الأنعام:٩٦)، وعبر عن الزوجة بأنها سكنٌ، لأن الرجل يسكن إليها، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) (الروم:٢١).

وفرق أبو هلال العسكري بين السكينة والوقار، بأن (السكينة ما يسكن إليه القلب والنفس وأنها مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف وأكثر ما جاء في الخوف، ألا ترى قوله تعالى: (فَأَنزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْه) (التوبة:٦٩) وقال: (فَأَنزَلَ اللّه سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُوله وَعَلَى الْمُؤْمنينَ) (الفتح:٢٦)، ويضاف إلى القلب كما قال تعالى: (هُوَ الَّذي أَنزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوب الْمُؤْمنينَ) (الفتح:٤) فيكون هيبة وغير هيبة. والوقار لا يكون إلا هيبة)[٣].

وقد وردت مادة (سَكَنَ) في (٦٩) موضعاً في التنزيل العزيز[٤]، وجاءت دالة على أربعة أوجه[٥]، هي:

١ـ التسكين بمعنى الاستقرار، وذلك في قوله تعالى (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) أي: لتستقروا فيه.

٢ـ النزول، وذلك في قوله تعالى: (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ) (إبراهيم:١٤).

٣ـ الاستئناس، وذلك في قوله تعالى: (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (الأعراف:١٨٩).

٤ـ الطمأنينة، وذلك في قوله تعالى: (فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ).

ولا يخفى اتصال هذه المعاني الأربعة بعضها ببعض، وقرب دلالتها جميعاً على معنى واحد.

وقد جعلت السكينة واحدةً من المستلزمات التي هيأها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنصرة جنوده المؤمنين في القتال ضد أعدائهم المشركين، فلا شك في أن اطمئنان قلب المقاتل وثقته بالنصر يعدان من أهم الوسائل في الفوز والغلبة على الأعداء، لذا كان من الطبيعي أن تختلف صور السكينة وهيأتها في القرآن الكريم تبعاً إلى اختلاف الأحداث وحقبها التاريخية وطبيعة المعارك، ففي ذكر طالوت وتنصيبه ملكاً على بني إسرائيل وقائداً لجيوشهم قال تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكه أَن يَأْتيَكُمُ التَّابُوتُ فيه سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئكَةُ إِنَّ في ذَلكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمنينَ) (البقرة:٢٤٨).

ويتضح في تأخير السكينة عن الجار والمجرور (الخبر) أن التابوت كان سبباً في سكون قلوبهم في ما اختلفوا فيه من أمر طالوت وتعظيماً لشأن التابوت.

وإضافة السكينة إلى الله في هذه الآية وغيرها هي إضافة تشريفية لأن الأمور كلها لله يديرها كيف يشاء جل وعلا إشعاراً بعظم منته ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده، أن هذه السكينة في بني إسرائيل هي سكينة مكتسبة بمعنى أنها مما ينزله الله تعالى من الأحكام والمعارف على عباده، وتلك الأحكام توافق الفطرة فتطمئن القلوب إليها وتبتعد عن الاضطراب والشك.

ولكن عندما يعبر القرآن عن سكينة أصحاب رسول الله ﷺ يقول: (هُوَ الَّذي أَنزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوب الْمُؤْمنينَ ليَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانهِمْ) (الفتح:٤) ويظهر في سياق الآية عظم الاهتمام بالسكينة فهي منزلة تنزيلاً تشريفياً في مكان لائق بها مستعد لقبولها ذلك هو قلوب المؤمنين الموقنين بنصر الله وحكمة تدبير رسوله المصطفى في صلح الحديبية أو في ساحة القتال. ويمن الله على المؤمنين فينزل عليهم السكينة ليثبتوا في مواقع القتال وتستشعر قلوبهم عظمة الله ورسوله. وفي هذه الآية جاءت سكينة المؤمنين هبة ربانية تستلزم الحكمة وتوجب سكون النفس وقوة العزيمة والثبات.

ولما اشتدت المحنة على المؤمنين في يوم حنين وأراد الله لجنده النصر أنزل عليهم السكينة، قال تعالى: (ثُمَّ أَنزَلَ

اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (التوبة:٢٦) فأضيفت السكينة الأخيرة إلى ضميره ـ سبحانه وتعالى ـ مع ذكر أسمه الشريف لأن موضعها هنا موضع تشريف كبير، إذ هي نازلة على قلب رسول الله ﷺ فكان موجب نزولها موضع اهتمام كبير من لدنه ـ عز وجل ـ يعضد ذلك قوله تعالى: (فَأَنزَلَ اللّٰه سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) (التوبة:٤) والسكينة التي أنزلها اللّٰه على المؤمنين كانت (رحمته التي تسكن إليها القلوب وتطمئن اطمئناناً يستتبع النصر القريب) ■

(١) ينظر: العين: الخليل بن أحمد (سكن)، ومقاييس اللغة: ابن فارس (سكن).
(٢) ينظر: المفردات: الراغب الاصبهاني٢٠٧.
(٣) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري١٦٦.
(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (سكن).
(٥) صفوة البيان لمعاني القرآن: حسنين محمد مخلوف٢٥١/٢.

ورقة من مصحف قديم كتب سنة ٥٤٩ للهجرة

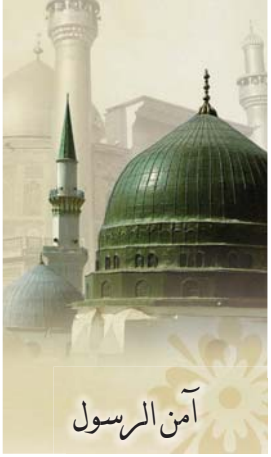

الكافي

ستة عشر ألف رواية

على طاولة الحوار الهادف

علي الفحام •

ينابيع

لا يختلف اثنان في أن النص التراثي الديني الذي تملكه أي طائفة من الطوائف وأي مذهب من المذاهب، يعد أحد الأعمدة الأساسية لذلك المذهب وتلكم الطائفة على اعتبار أن النص التراثي التشريعي يتضمن بين جوانبه الأسس والنظريات التي تؤطر الفكر العقائدي لذلك الكيان، كما يحوي في سطوره القوانين والأحكام التي تنظم الجانب السلوكي العملي لجميع الأفراد المنضوين تحت الكيان أياً كان شكله وامتداده الجغرافي والحضاري.

وفي الأدبيات الإسلامية يعد (الحديث الشريف للمعصوم) أحد أهم مرتكزات النص التراثي للمذاهب الإسلامية، لذلك نجد أن المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم قد اعتنوا بكتابة الحديث وتدوينه وروايته ودرايته ونقله عبر التاريخ جيلاً بعد جيل وكابراً بعد كابر.

الشيعة وتدوين الحديث

وقد كان للحالة الشيعية موقع متقدم بين تلك المذاهب الإسلامية في العناية بالحديث من عهد رسول الله ﷺ وحتى

عصرنا الراهن انطلاقاً من حرص أئمة أهل البيت عليهم السلام على حفظ هذا التراث وصيانته وتعزيز دوره في حياة المسلمين الشيعة وخلق حالة من الثقافة الاجتماعية لدى الوسط الشيعي تعتمد أحاديث أهل البيت عليهم السلام كإطار يحكم كل النظم التنظيرية والتطبيقية بحيث يعد تجاوزه خروجاً عن الخطوط الحمراء التي وضعها الأئمة عليهم السلام لإيجاد حالة من الانضباط الفكري تمنع من تسلل البدع وأفكار الضلالة والانحراف إلى داخل المؤسسة الجعفرية والنخب الشيعية.

وبالرغم من تصاعد سطوة الإرهاب السياسي والفكري الذي مارسته الأنظمة الحاكمة على هذه العصابة المحقة، فإن الرواة والمحدثين من أصحاب الأئمة عليهم السلام بذلوا جهداً استثنائياً في تدوين الحديث الشريف وحفظه ونقله، فقد فشلت كل المحاولات التي اتخذها أئمة الجور وحكام الضلال في عزل أئمة أهل البيت عليهم السلام عن المحيط الجماهيري للموالين وعزل أصحاب الأئمة عن اللحاق بركب حركة النشر والتدوين التي روجتها السلطة في مواجهة المد المحمدي الأصيل الذي مثلته الشيعة، وقد تنوعت أساليب العنف الممارس ضد الشيعة وأئمتهم ابتداءً بحالة التصفية الجسدية مروراً بالحبس والتنكيل والتشريد وانتهاءً بإحراق المكتبات النفيسة للمحدثين والفقهاء والتي ساهمت بشكل كبير في ضياع الكثير من المصنفات التي بذل الدم من أجل جمعها وتدوينها، وبالرغم مما نال ذلك التراث من غائلة الزمن وبائقة الدهر فقد ورثت أجيال الشيعة تراثاً ضخماً من الكتب والأصول والرسائل والمصنفات الحديثية فاقت في قوتها ومتانتها كل ما أنتجته بقية الفرق والمذاهب الإسلامية.

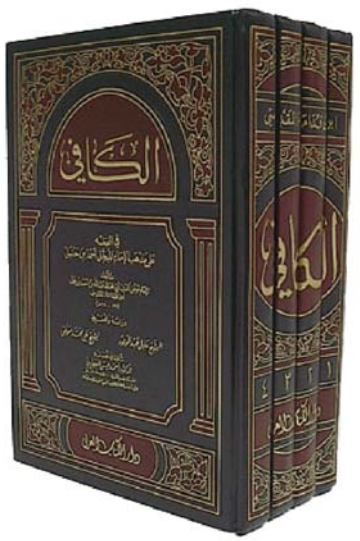

ويعد كتاب (الكافي)، من تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)، من أهم وأوسع وأشمل ما صنف من كتب الحديث التي اعتمدت بشكل مباشر على أصول وكتب حديثية خلفها أصحاب الأئمة والتي كان الأئمة عليهم السلام يحرصون على حفظها وتدوينها لتصل إلينا كما وصلت اليوم بهذه القوة والمتانة.

ولا نحتاج إلى مزيد من كيل عبارات المدح والتقريظ لنوضح المكانة العلمية لكتاب الكافي ففيه ما بسط الله تعالى له من الشهرة وعلو الشأن وانتشار الصيت والذكر كفاية عن مدح المادح ووصف الواصف، ورغم ذلك فقد انقسم تقييم المستوى العلمي لروايات الكافي بين أعلام ومحدثي المذهب الشيعي إلى قسمين أساسيين وقعا بين الإفراط والتفريط، وباختصار شديد: اعتبرت المدرسة الإخبارية المنضوية تحت جناح الملا محمد باقر الاسترآبادي

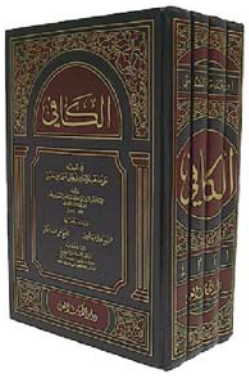

(ت١٠٤١هـ) أن جميع روايات الكافي بل وجميع روايات الكتب الأربعة قطعية الصدور عن المعصومين عليهم السلام وهي صحيحة بلا استثناء.

ووقف في الجانب الآخر مناصرو المدرسة الأصولية ليطرحوا ثلثي روايات الكافي من الاعتبار بحجة ضعف أسانيدها.

وبين هذا الرأي وذاك سيدور نقاشنا الهادئ هذا على طاولة البحث العلمي.

أولاً: تعريف (الحديث الصحيح) بين القدماء والمتأخرين.

أول ما يواجه الباحث عند تحقيقه في مسألة تقييم روايات الكافي ومستوى الاعتبار والحجية التي تمثله هذه الروايات، مسألة التعريف الاصطلاحي للحديث الصحيح، الذي كان منشأ الخلاف في عملية التقييم بين المدرستين.

عرف قدماء الشيعة ممن كانوا في زمن الغيبة الصغرى أو ما بعدها بقليل الحديث الصحيح بأنه: (الحديث الذي يقترن بما يوجب الوثوق به ويعتضد بما يلزمه الاعتماد عليه، أو بما أوجب العلم بمضمونه)، نحو:

١ـ وجوده في كثير من الأصول الأربعمائة التي نقلوها عن مشايخهم بطرقهم المتصلة بأصحاب العصمة عليهم السلام، وكانت متداولة في تلك الأعصار مشتهرة بينهم اشتهار الشمس في رابعة النهار.

٢ـ تكرره في أصل أو أصلين منها فصاعداً بطرق مختلفة وأسانيد عديدة معتبرة.

٣ـ وجوده في أصل معروف الانتساب إلى أحد الجماعة الذين أجمعوا على تصديقهم كزرارة ومحمد بن مسلم والفضيل بن يسار، أو على تصحيح ما يصح عنهم كصفوان بن يحيى ويونس بن عبد الرحمن وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، أو على العمل برواياتهم كعمار الساباطي.

٤ـ اندراجه في أحد الكتب التي عرضت على الأئمة صلوات الله عليهم، فأثنوا على مصنفيها، ككتاب عبيد الله بن علي الحلبي الذي عرضه على الصادق عليه السلام، وكتابي يونس بن عبد الرحمان والفضل بن شاذان المعروضين على العسكري عليه السلام.

٥ـ كونه مأخوذاً من الكتب التي شاع بين سلفهم الوثوق بها، والاعتماد عليها (راجع: وسائل الشيعة ٣٠\١٩٨).

وفي حين ظلت هذه المعايير هي الحاكمة على تصنيف الحديث منذ انتهاء الغيبة الصغرى وحتى القرن السابع الهجري، أحدث العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) انقلاباً في المفهوم الفكري للمصطلح عندما وضع تعريفاً جديداً للحديث الصحيح مناسباً لحالة البعد الزمني عن عصر تدوين وجمع تلك النصوص الروائية على حد ما يبرر مناصرو ومؤيدو مذهب العلامة الحلي في تعريف الحديث (دراسات في الحديث والمحدثين \هاشم الحسني ٤١).

وقد لوحظ في هذا التعريف الجديد أنه يقترب في ألفاظه ومحتواه من تعريف الحديث الذي سبق وأن وضعه المحدثون والرواة في مذهب أهل السنة وكما يوضح

النص التالي:

- تعريف الحديث الصحيح عند السنة: (ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة...).(شرح مسلم للنووي١\٢٧).

- تعريف الحديث عند الشيعة الأصوليين: (ما اتصل سنده بالعدل الإمامي الضابط حتى يتصل إلى المعصوم من غير شذوذ ولا علة) ، (نهاية الدراية للسيد حسن الصدر٢٣٥).

وانطلاقاً من هذا التغيير المفهومي الجديد فقد قسم العلامة الحلي أحاديث أهل البيت عليهم السلام وفق نظام مشابه للتقسيمات السنية للحديث مع إضافة (الحديث الموثق) لتصبح أقسام الحديث الأساسية كما يلي:

(الحديث الصحيح، الحديث الحسن، الحديث الموثق، الحديث القوي، الحديث الضعيف).

ونتيجة لهذا التصنيف فقد خرجت المدرسة الأصولية بهذه الأحصائية عن تقسيم الأحاديث الواردة في كتاب الكافي (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٧\٢٤٥):

* عدد الكتب : أربعة وثلاثون كتاباً (٣٤ كتاب).
* عدد الأبواب : ثلاثمائة وستة وعشرون باباً (٣٢٦ باب).
* عدد كل الأحاديث : ستة عشر ألف حديث (١٦٠٠٠).
* عدد الصحيح: ٥٠٧٢.
* عدد الحسن: ١٤٤.
* عدد الموثق: ١٧٨.
* عدد القوي: ٣٠٢.
* عدد الضعيف: ٩٤٨٥.
* ملاحظة : ولكن مجموع أحاديث الصحيح والحسن والموثوق والقوي والضعيف هي (١٥١٨١) حديثاً، وبالتالي الظاهر أن رقم ستة عشر ألفاً حديث كان تقريباً، حيث هناك فرق (٨١٩) حديثاً.

أما العلامة السيد مرتضى العسكري (ت١٤٢٨هـ) فقد قدم إحصائية أخرى لمجموع أحاديث الكافي كما في كتابه معالم المدرستين ٣\٢٨٢ حيث قال: (وإن أقدم الكتب الأربعة زماناً وأنبهها ذكراً وأكثرها شهرة هو كتاب الكافي للشيخ الكليني، وقد ذكر المحدثون بمدرسة أهل البيت أن فيها خمسة وثمانين وأربعمائة وتسعة آلاف حديث ضعيف من مجموع ١٦١٢١ حديث...).

وكيفما كان فإن هذا التصنيف قد اعتبر أن أكثر من (ثلثي) كتاب الكافي هي أحاديث ضعيفة غير معتبرة لا في الأحكام ولا في العقائد، في قبالة الرأي الإخباري الاسترآبادي الذي قطع بصحة جميع الأحاديث، وبين هذا وذاك فإننا نعتقد أن هناك نوعاً من (المظلمة) قد أصابت هذا الكتاب الكبير وجهود مؤلفه العظيم والتي تستحق منا وقفة ولو قصيرة ورحم الله السيد شرف الدين العاملي (ت١٣٧٧هـ) الذي كان يقول: (إن مضامين الكافي صحيحة) (نقلها عنه الشيخ علي الكوراني في كلام له على قناة المعارف الفضائية).

(الكافي) وقواعد علم الرجال

إن الباحث المنصف ليجد من الصعوبة بمكان القبول بأن الشيخ الكليني أخذ (ثلثي كتاب الكافي) عن مجموعة من الرواة الكذابين والوضاعين والضعفاء والغلاة والمجاهيل وحشا بها كتابه الكافي الذي اعترف الجميع بأنه أفضل كتاب صنف في الحديث على الإطلاق .

قد يحتج علينا البعض أن هذا التقييم الذي طرح ثلثي روايات الكافي قد اعتمد على قواعد وأسس علمية رصينة وضعها

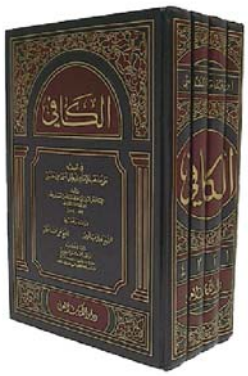

(علـم الرجال) الذي يبحث في وثاقة الرواة وصدقهم وتثبتهم وأقـوال الجرح والتعديل فيهم وبالتالي فالمنهجية صحيحة وسـليمة حتى وإن كانت النتيجة غير مرضية للعاطفة والأذواق الشخصية !

في الحقيقـة... أي باحـث يطالع (علم الرجـال) و(قواعـده) لا بد له من تسـجيل اعتراض هنا وهنـاك على المنهجية العلمية التي يسـلكها منظرو هـذا العلم والتي على أساسـها يتم تقييم درجـة الحجية للحديث ومقدار قوة النـص التراثي للرواية، ولهذا نجـد في كل جيـل أن الفقهـاء والمحدثين والرجاليين يضعون اسـتدراكات وقواعد جديدة في علم الرجال ربما تختلف عن تلك التي وضعها السابقون لهم وهكذا دواليك، وأنا شخصياً سمعت من سماحة السيد كمال الحيـدري اعتراضات متعـددة على قواعد الجرح والتعديل المعتمدة في كتب الرجال، كما يؤكـد المرجـع الديني السـيد محمد سـعيد الحكيم في كتابه (المحكم من أصول الفقـه) ١\٩ فـي حديثه عن (علـم الدراية) المختـص ببحـث الأسـانيد ومصطلحاتها أن العديد من تلك المصطلحات مسـتوردة من أدبيـات الدراية عند أهل السـنة حيث يقـول: (لم يتضـح توقف الاسـتنباط على علـم الدراية، لأن مرجع أكثر مسـائله إلى تفسـير مصطلحات القـوم، أو بيان حكم الحديـث، أو نحو ذلك ممـا هو أجنبي عن مقام الحجيـة، وإنما يبحث عن الحجية في قليل من المسائل التي لا مانع من عدها من علم الأصول وإن لم تحرر فيه).

وحتى نلم بأطراف البحث نلخص للقارئ الكريم جملة الاعتراضات التي نسجلها على قواعد ومبتنيات علـم الرجال والتي قادت لهذه النتيجة السيئة لروايات الكافي:

أولاً: إن التوثيـق والتضعيـف عمليـة تخضـع لآراء الأشـخاص وأفهامهـم وربما أذواقهـم فـي تقييم الراوي ودرجـة وثاقته وضعفه ومقدار ما يجوز الأخذ عنه ورده من الحديث والنقل، ولهذا اشتهر لدى الباحثين (تشـدد القميين) ونسـبتهم الراوي للضعف والوضـع والغلـو والارتفـاع فـي المذهب لمجرد روايته بعض المقامات الرفيعة للنبي والأئمـة صلوات الله عليهم والتي قد تضيق أحلام الرجال بفهمها، يقول السـيد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ) في كتابه (نهاية الدراية) ص٣٨٢: (لا اعتـداد عندي بجـرح مثل ابن الغضائـري وأمثالـه المكثرين مـن الجرح مـع عدم ذكر السـبب، ولا بأكثـر القميين الجامديـن الذيـن يرمـون بالغلـو كل من ينفي السـهو عن المعصوم عليه السلام أو من يروي الروايات المشتملة على المضامين العالية، والعلوم الغامضة)، ويؤكد هذا النتيجة الفقيه السـيد مهدي بحر العلـوم (ت١٢١٢هـ) في الفوائد الرجالية ٢\٣٦٨ قائلاً: (في الاعتماد علـى تضعيف القميين وقدحهم في الأصول والرجال كلام معـروف، فإن طريقتهم في الانتقـاد تخالف مـا عليه جماهيـر النقاد، وتسـرعهم إلى الطعن بلا سبب ظاهر، مما يريب اللبيب الماهر...).

وعليه قس كل ما سواه فإن كثيراً من التضعيفات المذكورة في علم الرجال لا تعدو كونها اجتهادات شخصية لا توجب علماً ولا يقيناً، كما إن بعض تلك الطعون والتضعيفات غير ناشئة من الشهادة العيانية بحق الراوي بل لعلها معتمدة على الحدس والظن والترجيحات العقلية نتيجة البعد الزمني بين العالم الرجالي وذلك الراوي ومثال ذلك تضعيف علماء الرجال للمحدث الجليل (أبان بن أبي عياش) وهو الذي روى كتاب سُليم بن قيس الهلالي (ت٧٦هـ) الذي يحكي أحداث حقبة حساسة من التاريخ الإسلامي بعد وفاة رسول اللهﷺ، فإن أبان توفي سنة ١٤١ والطوسي وابن الغضائري الذين نسباه للضعف عاشا في القرن الرابع والخامس!! فكيف يستقيم تضعيفه مع اعتماد أصحاب الأئمة الثقات الأثبات على روايته ونقلهم لكتاب سليم واعتنائهم به في مختلف الطبقات؟!.

ثانياً: إن كثيراً من تلك القواعد والأسس الرجالية كانت ولا تزال مثار جدل وخلاف بين العديد من الفقهاء وعلماء الحديث والرجال أنفسهم، فمثلاً:

- اختلفوا في كون الراوي كثير الرواية: فاعتبره البعض أمارة على الوثاقة وقال آخرون بل أمارة على المدح فقط أما الباقون فقالوا: لا يدل على المدح ولا على التعديل.
- اختلفوا في كون الراوي من مشايخ الإجازة: عدها البعض من أمارات الوثاقة ونفاها آخرون.
- اختلفوا في كون الرواي وكيلاً لأحد الأئمةعليهم السلام فجعلها البعض من أقوى إمارات الوثاقة وتوقف آخرون في ذلك.
- اختلفوا في كلمة (ثبت) هل تدل لوحدها على الوثاقة؟
- ترحم الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) على مشايخه هل يدل على توثيقهم؟ يوجد خلاف في المسألة.

وهكذا قلما تجد اتفاقاً بين الرجاليين على قاعدة من القواعد أو نص من النصوص، والقارئ الكريم يعلم أن الاختلاف في القاعدة يضعف من حجيتها.

ثالثاً: لو قمنا بعملية مسح استقرائي لروايات جملة من الرواة الذين رموا بالضعف والغلو لوجدنا أكثرها روايات مستقيمة وذات مضامين جليلة ومتون قوية، أضف إلى ذلك تكرار رواياتهم في كثير من الكتب الحديثية المعتبرة لدى الشيعة.

الشيخ الكليني أوثق الناس وأثبتهم

وبالعودة لكتاب الكافي فإذا كان ثمه نقاش في روايات الكافي والقوة السندية لها بحسب قواعد علم الرجال الذي عرفنا حالها، فإن الجميع متفقون ومجمعون على أن الشيخ الكليني كان (أوثق الناس وأثبتهم في الحديث) (رجال النجاشي ٣٧٧)، وانه كان خبيراً بالأخبار والرجال عارفاً بالسنن والآثار ثبتاً في النقل وثقة في القول لا

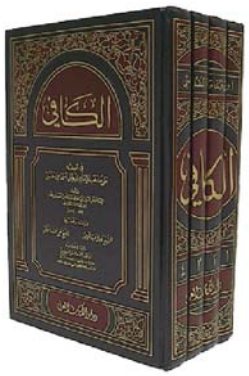

مطعن فيه ولا مغمز ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، ومن علامات قوة الكتاب ومتانته أن مؤلفه عاش في زمن الغيبة الصغرى قريباً من السفراء ووكلاء الإمام المهدي عليه السلام وخالطهم وأخذ عنهم مما جعله من أكثر المصادر الحديثية قرباً من زمن المعصومين عليهم السلام.

وفي الحقيقة أود الانطلاق من عبارة (أوثق الناس وأثبتهم في الحديث)، فتارة يوصف الراوي بأنه (ثقة) ومرة نصفه بأنه (ثقة ثبت) ولكن في حالة الكليني اختلف الوصف تماماً فهو ليس ثقة فقط ولا ثبتاً فقط بل هو: (أوثق الناس وأثبتهم في الحديث).

لقد كان ديدن الرواة وأرباب الأخبار والحديث أنهم إذا رأوا الثقات قد اعتنوا بروايات شخص ورووها في كتبهم وعملوا بمضمونها فإنهم يعتبرون ذلك من أمارات قبول تلك الروايات وإن كان الراوي لها موصوفاً بالضعف أم متهما بالحديث أو ما شابه ذلك فإن الثقة الثبت لم يكن ليروي حديثه إذا اعتقد فيه الكذب والتخليط أو أن ذلك الثقة الثبت لا يروي من حديثه إلا ما اعتقد بصحته وجزم بسلامة متنه، قال الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا ١/٢٤ بعد أن ذكر حديثاً في سنده محمد بن عبد الله المسمعي: (كان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه سيئ الرأي في (محمد بن عبد الله المسمعي) راوي الحديث وإنما أخرجت هذا الخبر في هذا الكتاب لأنه كان في كتاب الرحمة وقد قرأته عليه فلم ينكره ورواه لي).

أضف إلى ذلك فإن البعض من علماء الرجال وأهل الدراية قد اعتبروا أن رواية الراوي عن الضعفاء والمجاهيل تعتبر من علامات ضعفه في الحديث وقلة ضبطه وتثبته وتدني حاجز الورع عنده في نقل الحديث الصحيح الخالي من الأخطاء والشوائب.

فإذا كانت (رواية الثقات الأثبات) عن راو معين شاهداً على صحة مروياته فكيف بما يرويه (أوثق الناس وأثبتهم في الحديث)؟!.

وإذا كان كثرة الرواية عن الضعفاء والكذابين والمجاهيل من موارد الطعن على الراوي فكيف ندعي أن (أوثق الناس وأثبتهم في الحديث) يروي ثلثي كتابه عن الضعفاء؟!.

ومما يؤكد مقولة (أوثق الناس وأثبتهم في الحديث) أن الشيخ الكليني لم يكن مستعجلاً لتأليف كتاب الكافي في مدة قصيرة ليباهي به الفقهاء وأهل الحديث في المجالس ومنتديات العلم والذكر فقد كان متأنياً صبوراً مجاهداً في طلب الحديث ودرايته والتريث في أخذه والالتزام بضبطه لئلاً يكون لأحد ملجأ للطعن أو طريق للتوهين، ولذلك استمرت عملية تأليف الكتاب وجمعه عشرين سنة... عشرون سنة ليست بالفترة القصيرة ولا بالمدة القليلة بل هي عمر كامل لا يقدر على تحمل مشاقه وشدة وطأته إلا

من كان مثابراً شرساً في مواجهة الصعاب وتذليلها كما هو حال شيخنا الكليني، ولقد أحسن وأجاد المحدث الجليل الشيخ حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ) في كتابه مستدرك الوسائل ٣\ ٤٧٦ عندما تحدث عن استحقاقات عبارة (أوثق الناس وأثبتهم في الحديث) قائلاً: (فإذا كان أبو جعفر الكليني رحمه الله أوثقهم وأثبتهم في الحديث، فلا بد وأن يكون جامعاً لكل ما مدح به آحادهم من جهة الرواية، ولا يقصر نفساً، ولا حالاً ورواية عنهم، فلو روى عن مجهول أو ضعيف ممن يترك روايته، أو خبرا يحتاج إلى النظر في سنده، لم يكن أوثقهم وأثبتهم، فإن كل ما قيل في حق الجماعة من المدائح والأوصاف المتعلقة بالسند يرجع إليهما، فإن قيس مع البزنطي وأضرابه، وجعفر بن بشر، فلا بد وأن يحكم بوثاقة مشايخه، وإن قيس مع الطاطري وأصحاب الإجماع فلا مناص من الحكم بصحة حديثه، بالمعنى الذي ذكرناه، وإنه لم يودع في كتابه إلا ما تلقاه من الموثوقين بهم وبرواياتهم، وبذلك يصح إطلاق الحجة عليه، كما مدح بهذه الكلمة بعضهم، وعدوها من الألفاظ الصريحة في التوثيق، وقالوا: إن المراد منها أنه ممن يحتج بحديثه. قال المحقق الكاظمي في عدته: إن هذه الكلمة صارت بين أهل هذا الشأن تدل على علو المكان، لما في التسمية باسم المصدر من المبالغة، كأنه صار من شدة الوثوق، وتمام الاعتماد، هو الحجة بنفسه، وإن كان الاحتجاج بحديثه).

ويضيف الشيخ النوري متحدثاً عن دلالات المدة الزمنية التي قضاها الشيخ الكليني في تأليف كتاب الكافي قائلاً بعد أن ذكر عبارة النجاشي أن الكليني صنف كتابه في عشرين سنة: (وظاهرٌ أن ذكره لمدة تأليف الكافي لبيان أثبتيته، وأنه لم يكن غرضه مجرد جمع شتات الأخبار، فإنه لا يحتاج إلى هذه المدة الطويلة، بل ولا إلى عشرها، بل جمع الأحاديث المعتبرة، المعتمدة، الموثوق بها، وهذا يحتاج إلى هذه المدة، لاحتياجه إلى جمع الأصول والكتب المعتبرة، واتصالها إلى أربابها بالطرق المعتبرة، والنظر في متونها، وتصحيحها وتنقيحها، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناقد البصير، العالم الثقة، الذي يريد تأليف ما يستغني به الشيعة في الأصول والفروع إلى يوم القيامة، هذا غرضه وإرادته، وهذا تصديق النقدة ومهرة الفن، وحملة الدين، وتصريحهم بحصول الغرض ووقوعه. ويظهر من أوثقيته وأثبتيته أيضا أنه مبرم عن كل ما قدح به الرواة، وضعفوا به من حيث الرواية، كالرواية عن الضعفاء والمجاهيل، وعمن لم يلقه، وسوء الضبط، واضطراب ألفاظ الحديث، والاعتماد على المراسيل التي لم يتحقق وثاقة الساقط عنده، وأمثال ذلك مما لا ينافي العدالة، ولا يجتمع مع التثبت والوثاقة).

الكليني يشهد بصحة روايات الكافي

ومن موراد القوة التي تميز كتاب الكافي، أن مؤلفه لم يجعله (موسوعة حديثية) يجمع فيها الغث والسمين من الأحاديث والساقط والناهض من الأخبار، بل ذكر المؤلف في ديباجة كتابه أنه صنف هذا الكتاب على أنه (كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة

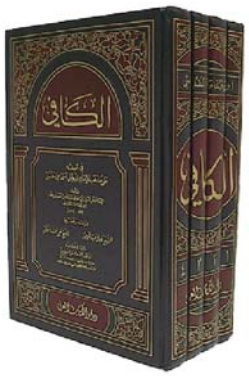

نبيه صلى الله عليه وآله) (مقدمة الكافي ١\ ٨).

فالهدف أن يكون مرجعاً (ويأخذ منه من يريد علم الدين) على المستوى التنظيري و(العمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام) على المستوى التطبيقي، وهكذا فقد شهد الكليني بصحة ما ورد في كتابه الكافي وأنه يشتمل على ما عليه العمل من السنن القائمة، فإذا قلنا ـ والحال هذه ـ أن الكافي قد اشتمل على أكثر من تسعة آلاف حديث ضعيف فهذا لا يعدو أن يكون أحد أمرين:

أحدهما: أن الكليني ـ وحاشاه ـ شهد بشهادة كاذبة، زوّر بها الحقائق وخدع بها الناس إذ لم يحو كتابه إلا ثلثاً واحداً فقط من الصحيح والباقي ضعيف وموضوع.

وهذه النتيجة لا يقر بها أدنى من له معرفة بثقة الإسلام الكليني فضلاً عن أتباعه ومواليه وأبناء مذهبه ممن خبروه وعرفوا حاله في الوثاقة والصدق والنقاء والعفة.

ثانيهما: أن الكليني لم يكن كاذباً بل كان جاهلاً بالرجال وأحوالهم وبالرواة وأخبارهم عاجزاً عن تمحيص الأسانيد والأخذ ممن يوثق به ويركن إلى صدقه، وهذا القول لا يقلُّ سوءاً وانحطاطاً عن سابقه ولا يمكن أن يلصق بأي (ثقة) من الرواة فضلاً عن أوثق الناس وأثبتهم في الحديث.

فإذا سقط هذان الخياران لم يبق إلا القول: إن الكليني بشهادته كان صادقاً عالماً ذا خبرة ودراية وفهم وعناية وتورع عن رواية المكذوب والضعيف والساقط من الآثار وهمة في نقل الصحيح من أخبار الصادقين عليهم السلام التي عليها السنن القائمة مما عملت به الفرقة الناجية والعصابة المحقة، فإذا اتفقت الكلمة على صحة هذه الشهادة فقد حصل القطع ببطلان القول الذي أسقط ثلثي روايات الكافي عن الاعتبار.

روايات (الكافي) تخضع للتمحيص

لقد أجمعت روايات أهل البيت عليهم السلام على وجوب أخذ الحديث من الثقات والصادقين في النقل ـ كما هو حال الكليني كما أثبتنا سابقاً ـ ومع ذلك فقد حرص أئمة أهل البيت عليهم السلام على تربية رواة الشيعة وشبابهم والسائرين على خطهم لكي يُخضعوا (روايات الثقات) للفحص والتمحيص والدراية والفهم، فحديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، كما ورد عن العلماء عليهم السلام.

ونستطيع أن نلخص (قواعد التمحيص) المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام بما يلي:

أولاً: عرض الحديث على كتاب الله العزيز (القرآن الكريم): فما وافق كتاب الله يؤخذ به ويعمل وما خالفه يرفض ويرد، وفي هذا وردت روايات كثيرة منها:

* المحاسن ١\ ٢٢٦: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه).

* الاستبصار ١\ ١٩٠: (إذا جاءكم عنا حديثان فاعرضوهما على كتاب الله

فمـا وافق كتـاب اللّه فخـذوه ومـا خالفه فاطرحوه).

ثانيـاً: إذا اختلف الحديثـان في الحكم يرجح ما كان مخالفـاً للعامة ويترك ما كان موافقـاً لهم، ففي الوسـائل ٢٧\١٨٨ عن الصادق عليه السلام: (فإن لم تجدوهما في كتاب اللّه فاعرضوهما على أخبـار العامة، فما وافق أخبارهم فذروه، وما خالف أخبارهم فخذوه).

وفـي روايـة أخـرى: (إذا ورد عليكـم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم).

ثالثـاً: إذا اختلف حديثان وكان كلاهما مخالفاً أو موافقاً للعامة فيخذ بالمجمع عليه من الأخبار ويترك الشاذ النادر.

ففـي مقبولة ابن حنظلـة: (ينظر إلى ما كان مـن روايتهما عنا فـي ذلك الذي حكما به المجمع عليه عند أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشـاذ الذي ليس بمشـهور عند أصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه) (الكافي ١\٦٨).

وقـد لخـص الإمـام علي بن موسـى الرضا عليه السلام تلك الشـروط في ما رواه الشيخ الصدوق في عيون أخباره ١\٢٣: (إن رسول اللّه صلى الله عليه وآله نهى عن أشـياء ليـس نهي حرام بل نهي إعافة وكراهة، وأمر بأشياء ليس فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان في الدين، رخص في ذلـك للمعلول وغيـر المعلول، فما كان عن رسـول اللّه صلى الله عليه وآله نهـي اعافة أو أمـر فضل فذلك يسـع اسـتعمال الرخص فيه، إذا ورد عليكم عنا فيه الخبران باتفاق يرويـه من يرويه في النهـي ولا ينكره وكان الخبران صحيحيـن معروفين باتفاق الناقلة فيهما يجب الأخـذ بأحدهما أو بهما جميعا أو بأيهما شئت وأحببت موسع ذلك لك من باب التسـليم لرسـول صلى الله عليه وآله والرد إليه والينا وكان تـارك ذلـك من باب العنـاد والانكار وترك التسـليم للرسول صلى الله عليه وآله مشـركاً باللّه العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهمـا على كتـاب اللّه فما كان في كتـاب موجـوداً حـلالاً أو حرامـاً فاتبعوا ما وافـق الكتاب، وما لم يكـن في الكتاب فاعرضـوه علـى سـنن النبي فمـا كان في السنة موجوداً منهياً عنه نهي حرام مأموراً به عن رسـول اللّه صلى الله عليه وآله أمر إلزام فاتبعوا ما وافـق نهي رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وأمره، وما كان في السنة نهي إعافة أو كراهة ثم كان الخبر الآخر خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وكرهه ولم يحرمه فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعا أو بأيهما شـئت وسـعك الاختيار من بـاب التسـليم والإتباع والرد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وما لم تجدوه في شيء من الوجوه فـردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك ولا تقولـوا بآرائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا).

وهكـذا وقفنـا فـي منتصـف الطريق بيـن الخطيـن اللذيـن تعاملا مـع الأخبار والروايات الشريفة في كتاب الكافي أعظم مصنـف حديثي فـي تاريخ الإسـلام، فلا إفراط في تضعيـف روايات الكافي وطرح تسـعة آلاف حديث تشتمل بمجموعها على درر الحكـم ومجمـع المواعـظ والفضائل والأحـكام والعقائد مما ورثنـاه عن العلماء الصادقيـن عليهم السلام، ولا تفريـط فـي قبـول الروايات دون تمحيص ودراية وفهم ومعرفة وعرض على الكتاب وإجماع السنة وما عليه العمل، وهذا أقـل ما يقتضيه واجب الوفاء للشـيخ الجليل أبي جعفر محمد بن يعقوب الكلينـي، رحمه اللّه تعالـى برحمته وجزاه عـن دينه وأهل بيت رسـوله خيـر الجزاء والحمد للّه رب العالمين ■

مرقد الحمزة الشرقي..

نبع ينهل منه الظامئون

باحــة ملائكية يضــج فناؤها بترانيم الدعــاء والأذكار، ويزدحــم بآمال النفوس الحائــرة فتمتزج هــذه بتلك وينبعث شــذاها معطراً بأنفاس الشــهيد أبي منصور الحمــزة الشــرقي الذي لا يكاد نور مــزاره يختفي عن الزائريــن، فما قصة الحمزة الشرقي؟ وما هو تاريخ مزاره؟

استطلاع وتصوير:

حيدر المجد •

منذ أن لامس ثرى العراق أجساد الطاهرين من أئمة الهدى عليهم السلام دأب الشيعة الموالون على إتيان تلك المشاهد المشرفة والبقاع الطاهرة رغبة منهم في التواصل مع من أوصى بهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وامتثالاً لما حث عليه الأئمة عليهم السلام أصحابهم في تعاهد مزاراتهم، وكان الهدف من وراء هذا الحث والتعبئة إيجاد علاقة دائمة بين الإمام وشيعته حتى لو أصبح الفارق الزمني شاسعاً وقد يمتد إلى مئات من السنين.

اختلفت وسائل وطرق النقل التي اعتمدها الزائرون للوصول إلى مراقد أئمتهم إلى أن أصبحت ـ على ما هي عليه اليوم ـ سهلة المنال، في وقت كانت فيه الوسائل سفن ومراكب تمخر عباب الماء إن كان النقل نهرياً، أو قوافل تقليدية تقطع الصحاري والبلدان إن كان النقل برياً، وقد كان النقل البري غير مأمون حيث سادت العراق موجة من الفوضى أبان حكم الدولة العثمانية جعلت الطرق البرية مرصداً لقطاع الطرق الذين وجدوا في الزائر مغنماً، ينقضون عليه و يأخذوا أمواله التي ادخرها لحله وترحاله وقد يتفاقم الوضع بين قاطع الطريق والزائر الأمر الذي يؤدي إلى إزهاق روح الزائر ونهب متاعه، وهذا ما حدث تماماً مع السيد أحمد المقدس ابن السيد هاشم الغريفي الشهير بـ(**الحمزة الشرقي**) الذي يمم وجهه شطر العتبات المقدسة، قاصداً إليها من دار إقامته ومسكن عشيرته (غُريفة) إحدى قرى البحرين، إلا أنه لم يصل غايته ولم ترى عيناه مراقد الأجداد إذ ازدلف إليه جماعة من الأشقياء، وسفكوا دمه الطاهر بعد أن دافع عن زوجته وطفله

وماله فمضى شهيداً محتسباً وشاء الله (جل وعلا) أن يهب له مكانة مقدسة وكرامة معروفة جعلت من مرقده مقصداً لذوي الحاجات والمرضى الذين وجدوا في رحابه حلاً لمشاكلهم.

فقصدناه نحمل معنا في الذاكرة صوراً مترادفة لمعنى الشهادة والسمو وبين أيدينا آلة التصوير نوثق بها صوراً أخرى عن مزاره وحركة الأعمار التي يشهدها فجعلناها مادة لاستطلاع مجلتنا (**ينابيع**) نبين من خلاله ومضات من سيرته العطرة وحقائق عن تاريخ مرقده المبارك.

حياته العامة

هو السيد أحمد بن السيد هاشم ـ عالم البحرين وكبيرها ـ بن السيد علوي ـ عتيق الحسين ـ ابن السيد حسين الغريفي ـ المعروف بالشريف العلامة صاحب كتاب الغنية ـ ابن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن خميس بن أحمد بن ناصر بن علي كمال الدين بن سليمان بن جعفر بن أبي العشائر موسى بن أبي الحمراء محمد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن أبي علي الحسن بن أبي الحسن محمد الحائري بن السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام الهمام أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهم السلام[1].

يتصل نسب السيد أحمد بالإمام الكاظم من خلال (٢١) واسطة من الآباء، وإذا ما عرفنا أن السيد إبراهيم المجاب قد نزل الحائر واستوطنه، فلابد أن يبقى نسله فيها والظاهر أن أحفاده الذين عرضناهم في نسب السيد أحمد كانوا من سكنة كربلاء، وإن أول من هاجر منهم إلى البحرين حسب ما ذكره السيد محمود المقدس الغريفي هو السيد الحسن بن أحمد ، معتمداً بذلك على كتب الأسرة وأعلامها حيث قال في ترجمته: (وكان السيد حسن من سكنة الحائر الحسيني في كربلاء وهاجر منها لنشر العلوم الدينية، وقيل هو أول من هاجر من كربلاء إلى البحرين وسكن قرية (غُريفة) سنة ٩١٩هـ)[2].

أما ولده السيد حسين الغريفي فقد كان فاضلاً فقيهاً أديباً بارعاً، وقد نسبت له الأسرة الغريفية الموسوية، اشتهر بكثير من التصانيف إلا إن كتابه (الغنية في مهمات الدين عن تقليد المجتهدين) حاز على شهرة واسعة، فعرف السيد حسين بـ (صاحب الغنية) وقد عاش بالبحرين في قريته (غريفة) وتوفي فيها سنة ١٠٠١هـ/١٥٨٠م.

أما السيد علوي فقد كان من العلماء الأعلام ومن فخر به الإسلام، قام بعد وفاة أبيه السيد حسين بجميع وظائفه الدينية، وله مصنفات وفتاوى وأدبيات، خلف السيد علوي من الأولاد السيد موسى والسيد أحمد والسيد نور الدين والسيد عبد الله البلادي والسيد هاشم.

نال السيد هاشم مرتبة عالية في مجتمعه فقد عرف بالعلم والفضل والنبل وتولى شؤون الزعامة الدينية بعد هجرة أخيه السيد عبد الله البلادي عن بلدتهم، وقد خلف السيد هاشم ولدان أحدهما السيد علي والآخر الشهيد السعيد السيد أحمد المعروف بالحمزة الشرقي[3].

لم يحدد لنا المؤرخون الفترة التي عاشها السيد أحمد، فقد أغفلوا عنها اللهم الاّ الشيخ عبد العظيم المهتدي ـ من المعاصرين ـ فقد ذكر في فهرست تراجم كتابه (الشهيد الشريف السيد أحمد المقدس الغريفي البلادي عاش سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٥م)[4]، ولا ندري على مَ اعتمد الشيخ المهتدي في

إثبات هذا التاريخ؟! وعلى كل حال فقد ذكر المؤرخون أنه من رجال القرن الثاني عشر الهجري.

أقوال العلماء فيه

ينقل الشيخ عبد الحسين الأميني عن صفاته قائلاً: (... ممن اختصه المولى بشرف الأرومة وجعله من بيت هو من أرفع بيوت العلم والفضيلة في علوية الشيعة، كما شرفه بقداسة النفس ونزاهة الضمير وحسن السيرة فهو بشرفه الوضاح ومجده المؤثل وشهرة فضائله الباهرة في غنى عن إطراء أي أحد، وأما مكانته العلمية وإن لم نقف عليها على التفصيل لكننا اعتمدنا على شهرته بذلك)[٥].

أما السيد حسون البراقي فقد ذكر قصة مقتله مقدماً لها بوصفه قائلاً: (السيد الحسيب النسيب العالم الفاضل التقي السيد أحمد البحراني...)[٦].

أما الشيخ محمد حرز الدين فيقول: (...كان السيد أحمد الغريفي من الفضلاء الأتقياء، شريفاً في قومه...)[٧].

غريفة في التاريخ

غُريفة مصغر (غُرفة) قريتان تقعان في البحرين، أحدهما بجنب منطقة تدعى (الشاخورة)[٨] وقد هدمت وأزيلت معالمها بسبب بناء القاعدة العسكرية البريطانية هناك والمعروفة بـ(الجفير) وبعد انسحاب القوات البريطانية منها سنة ١٩٧١م أصبحت الآن بيد القوات الأمريكية، وإلى غريفة هذه تنسب الأسرة الغريفية[٩].

أما غُريفة الأخرى فتقع بجنب منطقة يقال لها (الماحوز)[١٠] وهي عامرة الآن بسكانها الذين يعدون من أتباع آل البيت عليهم السلام كما هو الحال مع أبناء وطنهم البحرينيين المعروفين بالولاء العلوي الصادق منذ عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

استشهاده

قبل أن نتعرض لذكر حادثة استشهاد السيد أحمد لابد أن نتحدث عن الوضع القائم آنذاك، ينقل الدكتور علي الوردي قائلاً: (... يحدثنا السائح (بكنغام) عن الوضع الاجتماعي في العراق وقد زاره سنة ١٨١٦م فيقول إن بعض الريفيين فيه كانوا يرون أفضل ما ينبغي أن يفعلون حين لا يجدون عملاً

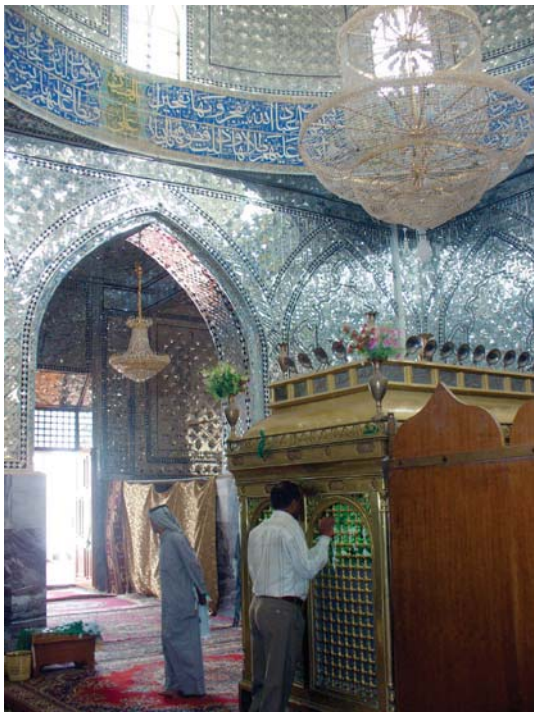

المدخل المؤدي إلى الضريح المطهر

يشتغلون به هو أن يمتطوا خيولهم ويذهبوا لقطع الطريق وهم يظلون يتجولون يرقبون القوافل المارة والمسافرين فإذا وجدوا من يقدرن عليه هجموا عليه ونهبوه)[11]، والظاهر أن جميع الزوار الذين ياتون العراق من الجنوب كانوا يسلكون طريقاً معيناً يذكر الرحالة باولو: (إن اكثر الزائرين الذين يقدمون من الهند لزيارة الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف يسلكون طريق الفرات، فالعطشان، فشط الشنّافية، وإن سفناً كبيرة ذات حمولة خمسين طناً تمر من هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف)[12].

إذن كانت القوافل غير مؤمنة للسبب الذي ذكره الوردي آنفاً، فقد جاء السيد أحمد مع قافلة متوجهة إلى العراق، حيث ذكرت الكتب التي نقلت الحادثة أنه جاء زائراً للأئمة عليهم السلام بصحبة زوجته وابنه الصغير، إلا السيد حسون البراقي انفرد برأيه قائلاً: (كان من أهالي البحرين ـ أي السيد أحمد ـ وعند أواخر أيامه أراد المجاورة لقبر جده أمير المؤمنين فباع جميع أسبابه وحمل بقية ما أمكن حمله من الأسباب وجاء مع زوجته وولده...)[13].

وقد لا يتفق أغلب الذين كتبوا عن هذه الحادثة مع رأي البراقي، فلو أراد السيد أحمد أن ينتقل للسكن في العراق لانتقل معه أولاده الكبار بمعنى الانتقال بالعائلة في وقت كانت البحرين تحت وطئة حكم جائر، كما كان المد الوهابي في أوج عنفوانه في المنطقة برمتها.

(فقد انطلق السيد أحمد برحلته هذه وكان الطريق لزوار العتبات المقدسة من البحرين وما والاها هو طريق السفن الشراعية وصولاً إلى البصرة ومنها يدخلون الفرات من القورنة (القرنة) إلى النجف الأشرف أو إلى الكوفة بعد ذلك، وقلما يسلك الزوار الطريق البري أعني ضفتي نهر الفرات على البغال والخيل خوف القتل والنهب في تلك العصور المظلمة التي تسودها الفوضى)[14].

سلك السيد أحمد الطريق البري حتى إذا بلغ منطقة يقال لها (لملوم العتيق أو القديم) هجم عليه ثلة من قطاع الطرق وكان معه قافلة من الزائرين البحرينيين، فنهب القطاع أمتعتهم وقتلوا جملة منهم ولما أقبلوا على السيد أحمد وأرادوا سلب ماله وقتل زوجته وولده، شد عليهم بصولته العلوية وبشجاعته الحسينية وغيرته الموسوية بالرغم

جانب من الضريح المطهر

منطقة لملوم كما صورتها الخرائط العثمانية (الدائرة الحمراء) ـ من أرشيف مركز دراسات الكوفة

من كبر سنه ووحدته إلا أنهم تكالبوا عليه وانفردوا به فقتلوه غريباً وحيداً ثم أجهزوا على الطفل الرضيع فقتلوه بمرأى من أمه الثكلى، ثم قتلوها، ولم يراعوا الرسول ﷺ في ذريته وعترته.

تركوا الشهداء الثلاثة مرملين بدمائهم في العراء، وذهبوا بغنائمهم التي ما لبثت أن تحولت إلى وبال عليهم، فأحرقتهم ودبّ القتل بينهم، ولما مرت قافلة من الزائرين وكان فيهم من أهالي البحرين من عرف السيد أحمد فعمدوا إلى دفن الجثث الطاهرة وعرّفوا سكنة تلك المنطقة بالسيد وأهل بيته[15].

المرقد المبارك

ما أن دفن السيد أحمد في قبره حتى ظهرت كراماته التي عرف بها، فلقبه أهالي تلك المنطقة بـ(الحمزة)، وقد نعتوه بالشرقي (الشرجي) تمييزاً عن الحمزة أبي يعلى الذي يعرف بالغربي، لأن مرقد السيد أحمد يقع شرق مرقد أبي يعلى كما أن أبا يعلى كان معروفاً بكراماته الباهرة فالسيد أحمد أيضاً عرف بها فلقب بالحمزة.

يقع اليوم قبره المبارك في الموضع الذي ذكرناه آنفاً (لملوم العتيق) في طريق البصرة القديم وهو مساكن عشيرتي الجبور والأكرع قرب عشائر الحسكة، في منطقة يقال لها (الأبيّض) بين شرقي الديوانية والرميثة[16]، ومدينة الحمزة الشرقي (لملوم العتيق) كما كانت تسمى سابقاً استحدثت بصفتها ناحية عام ١٩٣٤م، ثم اصبحت قضاء عام ١٩٧٤م، وتبعد عن مركز محافظة الديوانية بمسافة (٤٠كم) من الجنوب على طريق ديوانية ـ سماوة، وتبعد عن النجف الأشرف مسافة (٨٥كم) وعن بغداد مسافة (٢١٠كم)، ويرتبط بقضاء الحمزة الشرقي إدارياً ناحيتا الشنّافية والسدير إضافة لـ ٢٨ قرية[17].

لملوم في التاريخ

لملوم اسم بمعنى تجمع عشائري في

اللهجة الشعبية العراقية، وبه عرفت هذه المنطقة، ويقول السيد جودة القزويني: (أما لملوم فهي من القرى الفراتية التي اندرست حدود (١٢٢٠هـ/١٨٠٨م) وتفرق أهلها جراء انتقال مجرى الفرات عنهم وسكن الغالبية منهم في قرية (الشنّافية) وقد عرف السيد أحمد باسم (سبع آل شبل) وهم قبيلة من العرب، وتقع لملوم شرق الشنّافية على الطريق القديم)[١٨]، كما وعرف السيد أحمد بـ(سبع الجبور).

وقد ارتبط اسم لملوم بحادثة مشهورة ففي سنة ١٧٦٥م جهز الوالي العثماني عمر باشا جيشاً كبيراً وتقدم نحو لملوم مركز رئاسة شيخ الخزاعل الشيخ حمود فأضرم فيها النار وأمر بقطع رأس ستة من رؤساء القبيلة[١٩]، وقد زار لملوم الرحالة الدنماركي كارستن نيبور سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م أي في السنة التي شهدت حادثة عمر باشا، حيث يذكر الشيخ حرز الدين: (دخل نيبور العراق من طريق البصرة، وتوجه منها إلى الحلة في إحدى السفن الصغيرة بالطريق النهري، غير أنه لما وصل لملوم المنطقة التي يقيم بها شيخ الخزاعل حتى ارتأى أن يترك السفينة ويسلك الطريق البري من لملوم إلى النجف الأشرف مروراً بالرماحية...)[٢٠].

عمارات المرقد

توالت العمارات على المرقد المبارك منذ أن ظهرت كراماته وأصبح لزاماً إيجاد ما يليق بمكانة السيد الطاهر، وبما يلبي حاجة القاصدين الذين أصبحت أعدادهم تزداد يوماً بعد يوم.

لم يسجل لنا الباحثون والمهتمون بالعمائر والمراقد تاريخ أول عمارة شيدت على مرقد السيد أحمد، فالكلام يجري بصيغة عامة ولما ظهرت للسيد أحمد كرامات باهرة وقصده الناس ظهرت الحاجة لإظهار القبر وبنائه والظاهر أن المرقد كان في بواكير ظهوره عبارة عن بناء بسيط من جذوع النخل ثم تطور إلى بناء من الطين وهكذا توالت العمارات.

العمارة الأولى:

يمكن تحديد العمارة الأولى حسب ما أورده السيد محمود المقدس الغريفي نقلاً عن كتاب (الشجرة الطيبة) للسيد رضا النسابة الغريفي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ:

الباب الخلفي المؤدي لمرقد الحمزة الشرقي

المدخل الرئيس لمرقد الحمزة الشرقي

(وقد زاره جملة من العلماء الأعلام منهم العلامة الحجة السيد محمد مهدي القزويني المتوفى سنة ١٣٠٠هـ وكان هو السبب في تشييد قبره بهذه المثابة)[٢١] بمعنى أن هذه العمارة التي ذكرها السيد رضا النسابة كانت قد شيدت على القبر قبل وفاة السيد القزويني سنة ١٣٠٠هـ، وقد تكون نفسها التي أشار إليها الشيخ محمد حرز الدين قائلاً: (... وكانت على قبره قبة قديمة البناء صغيرة الحجم...)[٢٢].

العمارة الثانية:

في رجب سنة ١٣٥٥هـ جدد له رواق وقبة أوسع من الأولى وأعلى، وقد وُضع على قبره شباك من البرونز الذهبي جميل الصنع، نفيس الأثر، مساحته (٣×٢م) وارتفاعه (٢،٥م) وقد نقشت عليه بعض أبيات الشيخ إبراهيم اطيمش النجفي الذي أرخ فيها تجديد البناء بمقطوعة مطلعها قوله:

مقامك يا ابن حيدرة مقام
به الأملاك تنزل ثم تصعد
تبين به المعاجز كل يوم
وضوء الشمس باد ليس يجحد
عكوفاً حوله الزوار تتلو
وخير الذكر (صل على محمد)
رقدت من النعيم بخير دار
وأفضل بقعة وأجل مرقد
تقاصده ذوو الحاجات لما
به سمعوا فنالوا خير مقصد

أضف عدد الأئمة ثم أرخ:

(على أوج السماك ضريح أحمد)
١٣٥٥هـ

واجهة مرقد السيد منصور بن الحمزة الشرقي وتبدو عليها ملامح الإعمار والتطوير

وهـذا الشـباك موجود إلـى اليوم على حالـه، وعندمـا زار المرقد الشـيخ محمد حسين حرز الدين في سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م لاحـظ أن القبة التي تعلو المرقد قد أعدت لتكسى بالكاشي الكربلائي[٢٣].

اسـتمر الإعمار بين فترة وأخرى حيث كان يشـمل توسـعة الصحن وتجديد بعض مفاصل البناء إضافة لأعمال الطلاء والصبغ المسـتمرة، وفي عام ١٩٨٦م زار الطاغية المقبور المرقد، وأمر حينها بإقامة منارتين للحمزة باعتبار عدم وجود منائر ورغبة منه في محاكاة تجربة أحمد حسـن البكر عندما قام بإعمار مرقد الحمزة الغربي.

العمارة الثالثة:

في عام ١٤١٧هـ قرر بعض الخيرين من أبناء المدينة والقائميـن على خدمة المرقد توسـعة المزار المبارك، بما في ذلك إزالة القبـة القديمة وإقامـة قبة جديـدة بارتفاع (٢١م) بعدمـا كان ارتفاعهـا حوالـي (١٢م) تقريبـاً، وقد أرخ هذه التوسـعة في المزار والتجديد في القبة الشـهيد السـعيد السيد كمال الدين المقدس الغريفي بقوله[٢٤]:

قبـة فـوق ضـريـح طـاهـر
لشهـيد سـيد في الصالحين
حمـزة أكـرم بـه من سـيد
جده موسى مجيب الطالبين
قد وفى الخدام في تشييدها
وحميد النجم من كد اليمين
وبحمـد الله أرخ: (هـتـفـا
ادخـلوهـا بسـلام آمنـين)
١٤١٧هـ

وفي سنة ٢٠٠٢م تم إضافة مصلى للرجال وآخر للنساء حول الضريح إضافة لبناء طارمة جديدة تحتل الواجهة المركزية للمرقد.

زيارتنا للمرقد

في يوم الثلاثاء المصادف ٢٠٠٩/٤/١٧م اتجهنا نحو مزار الحمزة الشرقي ونزلنا ضيوفاً على سدنته الكرام، يبعد المرقد حوالي كيلومتر واحد تقريباً عن الشارع الرئيس المؤدي إلى البصرة، وكيلومتر تقريباً عن الشارع المؤدي إلى النجف، كان في استقبالنا الأخ الشيخ نعيم عبد سلطان، الأمين الخاص لعتبة الحمزة الشرقي وقد تحدث لنا عن حركة الأعمار القائمة الآن قائلاً:

(في ٢٠٠٨/٧/١ باشرت في مهامي أميناً خاصاً لعتبة الحمزة الشرقي وتم التنسيق بيننا وبين مجلس الإعمار في المحافظة من جهة والأمانة العامة للمزارات الشيعية في العراق من جهة أخرى، فقد تم إعداد كشف من قبل مجلس الإعمار يتضمن احتياجات المرقد بضمنها إكساء أرضية الحضرة الداخلية بالمرمر التركي الفاخر وإكساء الجدران الداخلية للحرم وفي مصلى الرجال والنساء بارتفاع (١،٨م) وأرضيات الصحن، إضافة لعمل أقواس إسلامية تتخللها آيات قرآنية مزخرفة بالكاشي الكربلائي، كما يتضمن الكشف تجهيز برادات ماء وصبغ المزار وتجهيزه بالتبريد المركزي سعة (٥طن) وتجهيز كهربائيات جديدة، أضف لذلك إكساء الفرع المؤدي إلى المرقد بالإسفلت حوالي (٦٠٠م) بعرض (١٥م) وأكتاف (٤م) مع تجهيزه بحاضنات الأشجار لإضافة لمسة جمالية على الطريق والاهتمام بالإنارة.

أما الأعمال التي تبنتها الأمانة العامة للمزارات فهي تجهيزنا بكافة المستلزمات المكتبية وتركيب مكاتب للأقسام التي تدير شؤون المزار مع إكساء جدران الأواوين

التي تحيط بالصحن بالمرمر التركي بارتفاع (١،٨م) مع تجهيز المزار بمنظومات خاصة لمكافحة الحريق وتجهيزات أخرى كلها تصب في توفير الخدمة المثلى للزائرين والعمل على راحتهم وهم يؤدون مراسم الزيارة.

وقد اشتهر منذ القدم أن في مزار الحمزة الشرقي مضيفاً يقدم وجبات الطعام للزائرين، واليوم هناك مضيفان، أحدهما يقع ضمن المزار والآخر في مدينة الحمزة المعروف بمضيف الكوام حيث يتحمل مسؤولية توفير الطعام بصورة متناوبة أفراد من سدنة المرقد الذين لازالوا يتوارثون السدانة حيث استطاع هذا المضيف تأمين وجبات الطعام للزائرين الذين يأتون كل عام في ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام قاصدين من ديارهم في المحافظات الجنوبية مروراً بمرقد الحمزة الشرقي.

وصف عام للمرقد

كما قلنا يمكن الوصول إلى المرقد عن طريق شارع شبه معبد ينتهي بساحة كبيرة تفضي إلى مسلكين، أولهما يؤدي إلى مرآب للسيارات وسوق صغير وثانيهما يؤدي إلى المزار المبارك، تقع في واجهة المزار نافورة دائرية جميلة الشكل ويحيط بالمرقد سور حديدي مصبوغ باللون الأخضر تقع في طرفه بوابة حديدية كبيرة تقود الزائر مباشرة إلى ثلاث مداخل على شكل أقواس زينت بالزخرفة الإسلامية والخط العربي الجميل وفي أعلى القوس الوسطي الكبير كتيبة خط عليها (**بسم الله الرحمن الرحيم مرقد الإمام الحمزة الشرقي**) وعلى كل من القوسين الآخرين كُتب (**ادخلوها بسلام آمنين**).

تفضي هذه البوابة إلى صحن كبير يحيط بصحن آخر صغير، يقع المدخل الرئيس للصحن الخارجي في الجهة الغربية، بعرض (٥، ١٣م)، ويوجد على نفس الجهة نلاحظ عدداً من المحلات إضافة للمطبخ الذي يتم فيه إعداد وجبات الطعام المقدمة للزائرين، كما توجد بوابتان على الجهة الجنوبية أحدهما تقع في المنتصف يطلق عليها باب السوق وأخرى تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية وتسمى بباب المنصور لأنها تفضي إلى مرقد السيد منصور بن الحمزة، كما تنتشر على طول الجهة الجنوبية المحلات وفي الصحن الكبير نلاحظ حركة الأعمار قائمة حيث يتم إكساء

الضريح المطهر للسيد منصور

الجدار الخارجي للصحن الصغير بالمرمر، كما يوجد في الجهة الشمالية من الصحن الخدمات الصحية إضافة للصيانة وغرفة المولدة، تبلغ المساحة الإجمالية للصحن الخارجي (٧٤٨٢٦م٢).

يمكن الدخول للصحن الصغير عن طريق بوابتان، أحداهما رئيسة بعرض (٣،٩م)، والأخرى ثانوية تقع في الجهة الغربية بعرض (٣م)، إلا أن الباب الذي يتم الدخول عادة منه هو الباب، المقابل لواجهة المزار التي تطل على الصحن الداخلي، تبلغ المساحة الكلية للصحن الداخلي (٣٦١٢م٢)، وتحيط به أواوين متصلة مع بعضها، عدا تلك الملاصقة للباب الرئيسية فقد تحولت إلى مكاتب منتظمة تابعة للأمانة الخاصة للمزار إضافة لدار استراحة الضيوف ومكتب الأمين الخاص وقد تحدث لنا الأمين الخاص قائلاً: (في النية توسعة هذا الصحن لأنه لا يستوعب عدد الزائرين الذين يأتون أيام العطل والزيارات حيث يضيق بهم الصحن).

وقد تم إكساء أرضية الصحن الداخلي بالمرمر ولكن بمساحة محددة وذلك نتيجة لبطء متعهدي الإكساء في إنجاز عملهم.

كما هو الحال في أغلب المزارات في العراق يتوسط المزار ساحة الصحن الداخلي، حيث تشمخ المأذنتان على جانبي المرقد، اللتان تضيفان جمالية على المزار لا يخلوان من أثر روعة العمارة الإسلامية المتمثلة بالزخرفة والخطوط العربية الجميلة، تتوسط المأذنتين القبة المكسوة بالكاشي الأخضر والمطعمة بقطع زخرفية جميلة من الكاشي الأزرق، مكتوب عليها أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما يحيط بالقبة من الأسفل طوق من الكاشي الأزرق خطت عليه آيات من سورة الدهر، يبلغ ارتفاع القبة (٢١م)، وقطرها يبلغ (١٠،٥م) تقريباً، أما واجهة المزار فهي عبارة عن باحة مسقفة تعتمد على سبع أعمدة في رفعها، ترتفع الباحة في جزئها المركزي مسافة (٢م) ويمثل هذا الارتفاع المدخل الرئيسي للضريح المبارك.

يمكن الدخول للضريح عن طريق باب من الخشب، خط على جبهتها (**بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليك يا سيد أحمد المقدس الغريفي ورحمة الله وبركاته**) وعلى جانبي البناء نلاحظ

مدخل للصحن الداخلي لمرقد الحمزة الشرقي

كتيبتان من الكاشي الكربلائي الأزرق كتبت عليهما زيارة للحمزة الشرقي،وتوجد ثلاث مداخل للضريح الأولى مركزية تقع في الواجهة، والثانية إلى جانبها من اليسرى، أما الثالثة فتقع في الجهة المقابلة، تؤدي الباب المركزية إلى الضريح وهو عبارة عن قاعة مغلقة، تعلوها القبة وتحيط بها أروقة من جهاتها الأربعة يتوسطها القبر، ينقسم القبر والأروقة إلى جزأين، أحدهما للرجال والآخر للنساء، أما القبر فيعلوه الشباك البرونزي وهو لا يتناسب أبداً مع التوسع الحاصل في المرقد والظاهر أنه لم يتغير منذ عمارة سنة ١٣٥٥هـ المتقدمة، وقد أخبرنا الأمين الخاص عن النية في مفاتحة بعض الجهات لصنع شباك جديد في أصفهان يليق بمكانة صاحب المرقد.

يطل الحرم الداخلي على الأروقة بواسطة منافذ على شكل أقواس إسلامية وقد زخرفت بالمرايا مع باقي أجزاء الحرم، كذلك القبة فقد كسيت بالمرايا المزججة التي تضفي على الحرم جمالاً يدل على تمكن وحرفة ويعلو الضريح ثرية حديثة مذهبة تتخللها قطع كرستالية جميلة تضفي على المرقد جمالاً خصوصاً عندما تنعكس عليها أشعة الشمس النافذة من الشبابيك المحيطة بالقبة.

أما في مصلى الرجال الواقع داخل الحرم فقد لاحظنا أعمال تغليف الأرضيات بالمرمر مستمرة إلا أنها تسير بصورة بطيئة كما أخبرنا بذلك القائمون على متابعة العمل، تبلغ المساحة الكلية للحضرة حوالي (١١٠٩م٢).

على بعد (٩٠٠م) من مرقد الحمزة، يقع مرقد ولده السيد منصور الذي قتل بعد مقتل والده، وأغلب الروايات تشير إلى أن عمر السيد منصور كان لا يتجاوز السنة، فلماذا لم يدفن مع أمه وأبيه في المرقد الذي دفنا فيه سوية؟ في الحقيقة لم أجد ما يعلل هذا الأمر ولم يشر إليه أحد سوى السيد البراقي حيث قال: (... ودفن ابنهما نائياً عنهما...)[٢٥] ولم يعلل هذا المنأى، وقد يكون التعليل المناسب أن الطفل أخذ من أمه عنوة بعد مقتل أبيه من قبل أحد قطاع الطرق رغبة في بيعه والانتفاع به ولما وصل إلى هذا المكان (على بعد ٩٠٠م من موضع قتل والديه)، قام قاطع الطريق بقتله عندما رأى شدة صراخه وطلبه للأم والأب هذا في نظري القاصر وإلا لم أجد

مضيف الحمزة الشرقي ـ صورة من الداخل

تبريراً مناسباً لدفن الطفل بعيداً عن والديه.

يرتفع اليوم مزاراً للسيد منصور يحاكي مزار والده، بل تبدو عليه مظاهر الحداثة أكثر مما تبدو في مزار والده، انتقلنا إليه وهو على مرتفع من الأرض، وحدثنا الأخ مسؤول قسم الإعلام قائلاً: (إن هذه المنطقة أثرية حيث تحيط بها التلول التي يظن أنها تحوي آثاراً غابرة ولعلها تعود لمنطقة لملوم القديم وهذا التل الذي يستقر عليه المرقد هو من تلك التلول كما تقع خلفه مقبرة للأطفال).

والحديث للأخ مدير قسم الإعلام: (كان مرقد السيد منصور غير متكامل إضافة لقدمه واندثار سوره وفي سنة ٢٠٠٦م تم الاتفاق وبالاعتماد على بعض الخيرين الذين عرضوا فكرة تجديده والقائمين على خدمة مرقد والده في تجديده بالكامل وبالفعل فقد تمت إزالة البناء القديم والشروع في بناء مزار جديد).

يحيط بالمزار صحن غير مرصوف والجدار الخارجي مصبوغ باللون الأخضر ومن الداخل لا تزال أعمال الصيانة قائمة، يتم الدخول من البوابة الرئيسة التي تقع في الجهة الأمامية للمرقد، وعند الدخول تواجهنا باحة مسقفة غير مكتملة الإكساء، تفتح عليها بوابتان يؤديان إلى المرقد يتوسط المرقد الصحن وهو عبارة عن قاعة كبيرة تحيط بها أروقة للصلاة ويقع الضريح في مركز القاعة، وهو عبارة عن صندوق من الألمنيوم مغطى بقطعة من القماش الأخضر يعلوه قبة يصل ارتفاعها إلى (٥م) تقريباً، مكسوة من الخارج بالكاشي الكربلائي ومن الداخل بعد لم يكتمل إكسائها.

هذه مزارات أهل البيت عليهم السلام محال

الصورتان تعكسان حركة الإعمار التي يشهدها مرقد الحمزة الشرقي

للرحمة ومنازل للبركات ففيها ينعم الزائر بالطمأنينة والسكون ويلتذ بمناجاة الله الواحد الأحد وفيها تطرق أبواب الرجاء المشرعة على حياضٍ لا يُذاد عنه الظامئون ■

(١) الشجرة المقدسة من الروضة الغريفية ص٣٩.
(٢) الدرة النجفية في نسب السادة الغريفية، أرجوزة في النسب، ص٧.
(٣) البحراني، لؤلؤة البحرين، ص٩٢.
(٤) علماء البحرين، ترجمة رقم٥٤٦، ص١٣٤.
(٥) شهداء الفضيلة، ص٢٧١.
(٦) كشف النقاب في فضل السادات الأنجاب، ص٢٦٦.
(٧) مراقد المعارف، ٢٧٣/١.
(٨) الأمين، أعيان الشيعة، ٤٧٠/٥.
(٩) المقدس الغريفي، الشهيد السعيد السيد أحمد المقدس الغريفي ص١١.
(١٠) الأمين، أعيان الشيعة، ٤٧٠/٥.
(١١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ٨٥/١.
(١٢) حرز الدين، تاريخ النجف، ٢٩٦/١.
(١٣) كشف النقاب في فضل السادات الأنجاب، ص٢٦٦.
(١٤) حرز الدين، معارف الرجال،٢٧٤/١.
(١٥) المقدس الغريفي، الشهيد السعيد السيد أحمد المقدس الغريفي ص٢٣ بتصرف.
(١٦) المصدر السابق، ص٣٢.
(١٧) جريدة الزمان، علي المياحي
(١٨) الأمين، مستدركات دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ٤٣٥/٣٠.
(١٩) حرز الدين، تاريخ النجف، ٣٤٧/٢.
(٢٠) نيبور، رحلة، ص٨٧.
(٢١) المقدس الغريفي، الشهيد السعيد السيد أحمد المقدس الغريفي ص٢٧.
(٢٢) مراقد المعارف،٢٧٣/١
(٢٣) المصدر السابق.
(٢٤) المقدس الغريفي، الشهيد السعيد السيد أحمد المقدس الغريفي ص٣٠.
(٢٥) كشف النقاب في فضل السادات الأنجاب، ص٢٦٧.

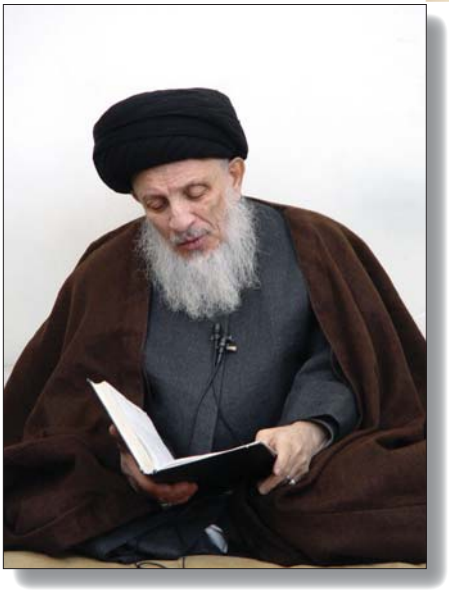

بسم الله الرحمن الرحيم

س: هل تارك تَعلُّم المسائل الشرعية عن عمد من العاصين؟

ج: نعم هو من العاصين إذا كان جهله سبباً في ترك العمل بالأحكام الشرعية.

س: هل يجوز استعمال النساء للعدسات الملونة خارج المنزل؟

ج: إن كانت العدسات طبية وليست للزينة جاز، وإن كانت للزينة لم يجز التزين بها أمام الرجال.

س: هناك بعض الموظفين في بعض الدوائر إذا أراد المراجع ـ مثلاً ـ

قضاء حاجته بأسرع من الموعد المحدد يعطيه شيئاً من المال لتسريع معاملته، مع العلم بأنه إذا قدم عمله فيكون سبباً لتأخير بقية أعمال المراجعين على حساب هذه العملية، هل هذا يعد من مسألة الراشين والمرتشين فيكون عمله محرماً من باب تقديم عمله أن يعمل زيادة على ذلك، أي من باب عمل المسلم محترم فيجوز أخذ المال ليقدم العمل المذكور؟

ج: إذا كانت المعاملة ترجع إلى دفع ظلامة عن المراجعين ـ كمعاملة إطلاق سراح المساجين، أو إطلاق البضائع من الكمارك، أو إعطاء جواز سفر ـ حرم تأخير المراجعين، وأشكل أخذ المال مقابل تعجيل بعض المعاملات.

وإذا كانت المعاملة ترجع إلى جلب مصلحة صرفة للمراجع، كالمنح الحكومية المالية، فلا بأس بأخذ المال في مقابل تعجيل بعض المعاملات، ولا يحرم تأخير المراجعين بسبب ذلك.

س: هل يجوز للمرأة أن تبدأ السلام على الرجل؟

ج: نعم يجوز، ما لم يستلزم محذوراً آخر.

س: أيهما أفضل: تغطية المرأة لوجهها ويديها؟ أو كشفهما؟

ج: التغطية هي الأفضل.

س: أنا محجبة، ولكن لست محنَّكة ـ إن جاز التعبير ـ فهل حجابي كامل؟ أم أن التحنك ضروري؟

ج: الحجاب من دون التحنُّك ليس بكامل، والتحنُّك واجب.

س: إذا كان تارك المعروف وفاعل المنكر يعلم بسوء فعله، هل يجب نصحه وإرشاده؟

ج: إذا كان يحتمل ترتب الأثر أو الفائدة على نصحه وجب ذلك، إلا أن يخشى من وقوع الضرر على الآمر بالمعروف.

س: صلاة الجماعة لا تعطى أهمية من العامة في أماكن الصلوات عند عدم وجود إمام، ما رأي فضيلتكم ونصيحتكم إلى الجميع للصلاة جماعة دوماً ما أمكن، وهل يوجد قيود تحدّ من إقامتها؟

ج: لا يشــترط في إمام الجماعة أن يكون من العلماء، فإذا اجتمعت الشرائط في أحد المؤمنين استحب لهم تقديمه للصلاة، علماً أن ثواب الجماعة عظيم وقد حثَّت النصوص الكثيرة عليها والذم على تركها.

فينبغي بالمؤمنين إحياء هذه الســنة العظيمة والتأسي بالنبيﷺ، ولا ينبغي تركها إلاّ مع تزاحمها مع تكليف شرعي أهم منها، ولا يوجد قيد يمنع منها.

س: ما حكم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم؟

ج: لا بــأس بمجاملتهــم بذلك بالمقــدار الذي تقتضيه ضرورة المعاشــرة، وحُســن المخالطة، ولا ينبغي الإغراق في ذلك، بل هو محرم إذا اســتلزم ترويج الباطل والتعامل معه كحقيقة ثابتة يعترف بها.

س: هل يعود مفهوم الغناء عندكم إلى العرف؟

ج: الغناء هو الصوت المشــتمل على الترجيع والمد بنســق خاص من شأنه أن يوجب الطرب مع قصد اللهوية على النحو المعهود عند أهل الفسوق والترف، وليس المراد به استعمالهم له فعلاً ليحل الصوت الغنائي المعهود عند أهل الفسوق، بل كل ما يبتني على التلــذذ اللهوي بالخروج عن مقام الجد والواقع الحاضر، إلى نحو من العبث المبني على التوجه لباطن النفس، وتنبيه غرائزها، وهز مشاعرها بالصوت الغنائي، إشباعاً لرغبتها فــي المزيد من الابتهــاج أو التفجع، أو الفخر أو الغرام، أو غير ذلك، حســب اختلاف الأغراض.

س: أ ـ ما هو مصير الطفل في الآخرة؟ وهل في ذالك فرق بين المسلم والكافر؟
ب ـ وهل الطفل يشفع لوالديه؟

ج: أ ـ قال المحقق الطوســيرحمه الله: إن ما عليــه العدلية أنه تبارك وتعالى لا يعذب أطفال الكفــار، لأن تعذيــب غير المكلف قبيــح، وهو لا يفعل القبيح، نعــم ورد في الأخبار أنه تبارك وتعالى يمتحن أطفال الكفار يوم القيامة.

وأما أطفال المؤمنين فيلحقون بآبائهم.

ب ـ قد عُدَّ من الشفعاء في يوم القيامة كما في الحديث عن النبيﷺ: (تزوَّجوا الأبكار فإنهن أطيب شيء أفواها)، وفي حديث آخر:

(وأنشــفه أرحاماً، وأدَرُّ شيء أخلافاً، وأفتح شيء أرحاماً، أمَا علمتم أني أُباهي بكم الأمــم يوم القيامة حتى بالســقط، يظل محبنطئاً على باب الجنــة، فيقول اللّه عزَّ وجل: ادخل الجنة، فيقول: لا أدخل حتى يدخل أبواي قبلي، فيقول اللّه تبارك وتعالى لملك من

الملائكــة: ائتني بأبويه، فيأمر بهما إلى الجنة، فيقول: هذا بفضل رحمتي لك) [الكافي: ج٥ ، ص٣٣٤].

س: هــل يجــوز رفع الصــوت بالصلاة علــى محمــد وآل محمد داخل العتبات المقدســة كما هــو المألوف عند كثير من العــوام في حرم الإمام الحســين عليه السلام وغيره، وهل هو مصداق لقولــه تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ...) [الحجرات:٢]؟

ج: يســتحب رفع الصوت بالصلاة على النبــي صلى الله عليه وآله، كما في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ارفعوا أصواتكم بالصلاة علي فإنها تذهب بالنفاق).

وأما الآية الكريمة فإنها واردة لرفع الصوت المنافي للآداب والمبني على الاســتهوان بــه، كما روي عن بعض أهل الجفاء أنهم أتوه فنادوه وهو في حجرته وهم في الخارج أن: اخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول الله فنزلت الآية ردعاً لهم.

ولا تشمل الآية ما إذا كان رفع الصوت تكريماً له أو تمجيداً لله تعالى، أو في مقام أداء الواجب، كما كان يرفع بمحضره الصوت بالأذان صباحاً ومساءً، وكان الشعراء والخطباء يلقون في المحافل بين يديه الشــعر في مدحه والخطــب، وكانوا يرفعون أصواتهم عند الحرب ونحوها من المناسبات المقتضية لذلك.

فما يُفعل في المشــاهد المشرفة من رفع الصوت بالصلاة عليه من أفضل القربات، إلا أن يخاف من ترتب الضرر على القائل أو غيره من المؤمنين، فيحرم لذلك، لا لحرمة رفع الصوت بنفسه.

س: ما هو تعريف المسجد الجامع الذي يجوز الاعتكاف فيه؟

ج: هــو الــذي يجتمع فيه عموم أهل البلد، دون الــذي يختص به أهل محلة خاصة، أو منطقة خاصة، كمســجد المحلة والســوق، والأحوط وجوباً مع ذلــك أن يكون مما صُلِّي فيــه صلاة جماعة صحيحة، ولو ســابقاً، والأحوط اســتحباباً الاقتصار مع الإمكان على المســجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الكوفة، ومســجد البصرة، الذي صلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة .

س: مــا هو القمار؟ وهل (الدومنة) حرام؟ وما حكم اللعب بها للتســلية لا للمراهنات؟

ج: القمــار هو اللعبة التي تبتني على المغالبة واخترعت لكســب المال، والدومنة من القمار ، ويحرم اللعب بها من دون رهن ومع الرهن.

ظاهرة التكرار في نهج البلاغة

« المثل أنموذجاً »

م. م. عبد الهادي عبد الرحمن •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

لا يكون الكلام (مثلاً) حتى يتصف بسمات ويتطرز بأهلة تكسبه بهاء السطوح مع جلالة الهيبة التي ترافقه أينما حل وارتحل في ظله الذي لا يتغير، إذ الأمثال أقوال اكتسبت الشهرة وحظيت بالقبول ورفضت التغير أو التبدل، تضرب حيث تكون الحالة مشابهة للمصدر، فيستعان بها على توضيح الغامض من القول وتأكيد المعنى المفتقر إلى الحجة والدليل إذ تكون هذه الأقوال التي غدت أمثالاً يتداولها الناس صورة لحادثة تاريخية أو موقف أو رأي سديد اكتسب الذيوع ومنحه التداول الخلود والبقاء في ذاكرة الناس وفي العقل الجمعي للمجتمع.

ولعل أقوال الإمام علي عليه السلام التي صدرت من نبع صافي عذب حيث بيت الرسالة وحيث العلم والإيمان والحكمة والقول الفصل والبلاغة الساطعة والنشأة مع القرآن في بيت النبوة ـ وما أجله من

بيت ـ فكانت لهذه الأسباب كلها وما يمتلكه الإمام علي عليه السلام من نبوغ وموهبة فذة جعلت أقوالاً له سديدة تنتشر كانتشار النار في الهشيم فصارت تحمل قوة المثل الذي عبر به عن ظروف الحياة وتقلب الأحوال وتبدل الوجوه وتغير الناس فأعطى لكل مقام قولاً دالاً عليه، جميلاً في صياغته، ثراً في معناه، تداولته الناس وحفظه التاريخ فكانت هذه الأمثال غاية في الصدق تمتلك من الصفات الفنية أكثرها دقة في الصياغة التي وفرت اتساعاً في المعنى وزادت في الجمال روعة مما يخلب اللب ويستهوي الأنفس التي تعشق البيان الواضح والبلاغة القوية، هذه التراكيب اللغوية ذات البناء المحكم والصورة الجميلة الموحية والإيقاع الجاذب

والموسيقى الرائعة وما كانت هذه لتحدث إلا بعد أن ضمن تراكيبه اللغوية أسلوباً نراه ظاهرة بارزة إلا أنها ظاهرة التكرار إذ نراه في هذه الأمثال أنواعاً مختلفة من التكرار فهو على ثلاثة أنواع:

- تكرار الحروف.
- تكرار المقاطع.
- تكرار الكلمات.

وقد تطرق البحث إلى ماهية التكرار، فعرفه وتناول دلالاته الإيقاعية تارك دلالات ظاهرة التكرار الأخرى إلى وقت آت إن شاء الله تعالى.

التكرار

التكرار في التعبير الأدبي هو (تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصدهُ الناظم في شعره أو نثره)[1].

والتكرار أسلوب أدبي من أساليب فن القول عند العرب، استعملوه في شعرهم ونثرهم وليس أدل من القرآن الكريم على وجود هذا الأسلوب عندهم (لأن القرآن نزل بلغتهم، وخاطبهم بما يألفون من أساليب القول، وبكلام يدركون موقعه ومراميه)[2] وفيه دلالة علَى قيمة أدائه في التعبير البياني، إذ وفر للقول دلالات معنوية وأخرى موسيقية، يحتاجها العربي في التعبير عن ما في نفسه من حاجة أو رغبة أو لذة.

فالتكرار وقعٌ جميلٌ إذا ما أحسن استعماله على أذن المتلقي، وهذا ما كان يعرفهُ العربي إذ (أن من سنن العرب التكرار والإعادة أرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر)[3] وهذه العناية كانت تخضع لرقابةٍ شديدةٍ من ذوق عربي متمرس، في هذا الفن وغيره، إذ كان باستطاعة العربي أن يميز بين الغث والسمين من التكرار فاستقبح التكرار الذي تأتي فيه الحروف متقاربة من حيث المخرج لأن فيها صعوبة في النطق واستعذب التكرار الذي تأتي فيه الحروف متباعدة ولا معضلة في نطقها[4] والى ذلك أشار ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) حين رأى ولع الشعراء والكتاب في زمانه بتكرار الألفاظ، فقال (حتى لا يكادُ كلام الواحد منهم يغفل عن كلمة واحدة، فلا يعيدها في نظمه أو نثره ومتى اعتبرت كلامهم وجدتهُ على هذه الصفة)[5] وهذا ما يؤكد أن التكرار لا يعدُ عيباً إذا كان المعنى المقصود لا يتم إلا به (فربما كانت الألفاظ المختارة يسهلُ الأمر في إعادتها وتكرارها إذا لم تقع إلا موقعها)[6]، وهذا شرط يراهُ ضرورياً كي يضمن للمعنى سلامته.

والتكرار لا يوفر للنص قيمة معنوية فقط، بل أنه يوفر قيمة موسيقية يحتاجها منشيء النص لجذب مسامع المتلقي والتأثير فيه (لأن تكرار اللفظ يفيد قرع الأسماع وإثارة الأذهان)[7]، كما أنه يمثل قيمة نغميَة يحدثها هذا الترجيح للألفاظ وضمن وحدات زمنية قد تطول أو تقصر، وإلى هذا أشار السكاكي (ت٦٢٦هـ) إذ عدّ قيمة التكرار تكمن في ترجيع النغم وجعله فناً من فنون الكلام[8] إذ باستطاعته أن يوفر مظهراً موسيقياً للنص الأدبي عندما (يردد الكلمة أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية أو النغم الأساس الذي يعاد ليخلق جواً نغمياً ممتعاً)[9]، يأخذ باهتمام المتلقي ويثير في نفسه إحساسات المتعة والاستجابة والتكرار الذي يوفر هذه

الـدلالات لا يأتـي إلا بإخضاع القول إلى قوانيـن تتحكـم في إحداث هـذا الإيقاع أو النغم الموسـيقي، لأن الإيقـاع يعتمدُ علـى قوانيـن، وجب توفرهـا ومن هذه القوانيـن (النظـام والتسـاوي والتوازي والتوازن والتلازم والتكرار وهو أهم هذه القوانيـن)[١٠] وهذا القانون الذي وفر نغماً موسـيقياً للنص نجدهُ متحققـاً في أمثال نهج البلاغة وعلى أشكال هي:

تكرار الحروف

إن مـن مظاهـر التكرار فـي أمثال نهج البلاغة، هي ظاهـرة تكرار الحرف الواحـد فـي نـص المثل ولعـدة مرات، وبصورة لافتة للناظر ومسترعية للسامع، وهذا التكرار لا يتم إلا لمسوغات أوجبتهُ كحاجة النص إلى النغـم الجميل أو حاجة المعنـى إلى التأكيـد وهذا التكـرار جاء بأنغام سلسـة لا أثقال فيها لأذن سـامع، ولا إجهاد فيها للناطق ومن ذلك قولهُ عليه السلام: (**اختلف النجر وتشـتت الأمـر**)[١١] ففي هذا المثـل نلحظ تكراراً لحـرف (التاء) فقد ورد في هذا النص (أربع مرات) وهو صوت شديد، والشديد عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) هو (الحـرف الذي يمنع الصوت [الهـواء] من أن يجـري فيـه)[١٢] فتكرار صوت شـديد وبهذا العدد في مثل واحد يوحي بدلالة معنوية هي شدة الاختلاف، وتمكنه بيـن الناس في ذلـك الزمان كما يورث فـي مسـامع المتلقي قرعـاً قوياً ومكثفاً، يولدُ أنغاماً موسـيقية ذات طابع شديد الوقع على مسـمع المتلقي، وهذه الإيقاعات المتكررة بما تحملُ من صفات أصواتهـا التي ولدتها، توقـظ من تغافل عـن فهم الأمـر والنظر إلـى الحالة التي أشـار إليها النـص، إذ الناس متفرقين لا يجمعهـم جامع ولا يوحدهـم قائد، فجاء المثل ليصور حالتهم مسـتخدماً معطيات الصوت وصفاته فـي الإيحاء بالدلالة في إثـارة انتباه من أنكر فضل الإسـلام على الأمة أو حاول ذلك.

كمـا إننا نجدهُ عليه السلام يكرر حرفاً آخر في مثل واحد كما في قوله (**ولتسلطن سوط القدر**)[١٣] فقد ذكر حرف (السين) مرتين على مسـافة زمنية قصيرة، وهذا الحرف مـن الأصوات المهموسـة المتوسـطة[١٤] في الوضوح السـمعي، وهذه الصفة ربما أوحت بشيء أو بظل من ظلال المعنى كما أنها أحدثت نغماً موسيقياً انبثق من خلال هـذا التكرار لهذا الصوت وعلى مسـافة زمنيـة قصيرة في نـص موجز، فأحدث فـي ذلك وقعاً في مسـامع المتلقي، أثار انتباهاً لديـه والى هذا يسـعى النص وبه يحقق مقصده.

وفي مثل آخر للإمـام علي عليه السلام يتكرر حرف الميم (أربع مرات) حيث يقول: (**ما أنقضَ النوم لعزائـم اليوم**)[١٥]، وصوت الميم هو صوت مجهور متوسـط الشدة فهـو واضحٌ في السـمع ما أعطـى للمثل إيقاعاً جميلاً حين اقترن صوت الميم بما جاورهُ من أصوات المد (صوت الألف) في لفظة (ما) التي ابتـدأ بها قوله كما أنهُ عليه السلام قـد ختم قولهُ بصوت الميم أيضاً ليحدث ترجيعاً جميـلاً يولد بما تكاثـف معهُ من أصوات الميم المكررة داخل النص إيقاعاً موسيقياً جميلاً.

وهذا التميز النغمـي والإيقاع الجميل المتولـد من إعادة الأحـرف، نلحظهُ في نصوص أمثـال نهج البلاغـة، إذ نجد أن كل مثـل قد تميـز بصوت معيـن أحدثهُ

التكرار لأكثر من مرة، ومن ذلك ما نجدهُ في تكرارهِ لحرف (القاف) في قولهعليه السلام واصفاً معاوية ورادا على تزويفهِ وإدعاءاته بأنه قد وصل إلى مرحلة من الغي (**تقصر دونها الأنوق ويحاذي بها العيوق**)[١٦]، ففي هذا المثل تكرر صوت (القاف) وهو صوت عدهُ ابن جني (ت٣٩٢هـ) من الأصوات التي قال عنها بأنها (مشربة تخفز في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي [حروف القلقلة] لأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفزّ والضغط)[١٧]، وهذه الصفة تدلُ على (المبالغة في الصوت لئلا يعتريه بعض الهمس)[١٨] ولعل هذه الصفة قد عمقت الدلالة التي قصدها المثل من جهة، وأحدثت إيقاعاً قوياً كان متلائماً مع السياق الذي ورد فيه هذا النص، لأنه قد سبق بألفاظ تكرر فيها صوت القاف، إذ سبق هذا المثل قولهعليه السلام: (**وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام**) فصوت القاف كان صوتاً غالباً في النص، واضحاً فيه، وهذا ما سوّغ تكرار صوت (القاف) في نص المثل، كما أن لصفة الجهر، وهذه القلقلة التي تميز هذا الصوت أثرٌ في الاختيار، إذ أن الموقف يتطلب الجهر والشدة، لأنه ردٌ على باطل، وإدحاض الادعاء، فلا بد من صوت عالٍ يجلجل، كي يزلزل أسماع المدعين والساردين بغيهم، كما نجد تكرار الحروف في قولهعليه السلام لمن مدحهُ وهو متهم له، فقال موبخاً له (**أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك**)[١٩]، ففي هذا القول تكرار حرف (الواو) أربع مرات، وهو حرف صائت، أي إنه حرف مد طويل، والذي من صفاتهِ الوضوح التام في السمع، لأنه ينطلق مع الهواء دون عائق أي إنه (صوتاً هوائياً)[٢٠] كما سماهُ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ).

وهذه الصفة التي يمتلكها هذا الصوت استثمرها النصُ استثماراً رائعاً لأنه كرر صوت (الواو) فأعطى نغماً واضحاً أنتجهُ الإيقاع المتولد من إعادة الصوت على مسمع المتلقي، كما أنه قد كرر صوتاً آخر في هذا المثل وهو صوت (الفاء) الذي يمتاز بكونهِ (صوتاً مجهوراً احتكاكياً)[٢١]، إذ ورد هذا الصوت (ثلاث مرات) في نص المثل وعلى مسافات زمنية متقاربة وهذا التكرار لصوت الفاء الذي يحدث حفيفاً عند النطق به قد امتزج مع صوت (الواو) فأحدث نغماً موسيقياً جلياً مضافاً إلى النغم الذي يولدهُ حفيف صوت الفاء، وهذا يكسب النص كثافة موسيقية، تعزز الإيقاع، وتوفر لنص المثل مساحة نغمية أوسع، تترك تأثيراً على المتلقي لأنها تقرع سمعهِ بأصوات مكررة، وعلى مسافات متقاربة، تساعدُ في إثراء الجو الموسيقي للألفاظ وتعملُ على جذب انتباه السامع وتحريك إدراكه، وهذا مقصد من مقاصد المثل، وهدف يسعى إليه منشئ النص، إذ أن من أولى مهام المثل هو تقريب الفهم، وإيصال الفكرة بأسهل الطرق، وإحداث الرغبة في سماع القول لامتلاكه أنغاماً تستحوذ على نفس السامع فتشدهُ إلى القول، فتحدث صلةً ودية بينه وبين النص، وتفاعلاً يؤدي إلى إدراك المعنى وفهم القصد.

إن تكرار الأصوات نلمسهُ بوضوح في كثير من أمثال نهج البلاغة، مما ميزَ أمثالاً بأصوات خاصة بها، وتلك إيقاعات تورث في المتلقي حب الاستماع. وفي نهج البلاغة كثيرٌ من هذه الأمثال[٢٢].

تكرار المقاطع

في أمثال نهج البلاغة نجد تكراراً لمقاطع صوتية، وهذا التكرار قادر على إحداث أنغام موسيقية جميلة، قصد منشؤها منها جذب انتباه السامع، لكي يحقق لنصه ما يريد من تأثير قد يتخذ شكل استجابة لفكرة أو تنبيهاً لأمر، أو توبيخاً لجاهل معاند أو تقويماً لمخطئ، فتكرار المقطع الصوتي في داخل اللفظة أو النص أكثر تأثيراً في السمع من تكرار الحروف، لأنه يعيد على أذن السامع مقطع تشكل، واستوعبتهُ مسامعه، وأدركت إيقاعاته فإذا به يُعاد مرة أخرى وبدون فاصلة أو تغيير في مواقع الأصوات، وهذا يُحدث تأكيداً للنغم وقرعاً للسمع متناسق متساوٍ في زمنه وفي صفات أصواته فمن ذلك ما ورد في قوله عليه السلام واصفاً حديثاً له بأنه (**شقشقةٌ هدرت ثم قرت**)[٢٣] وهذا المثل قد تطرق له البحث في الفصول السابقة وحللهُ وأبان معانيه ودلالاته إلا إننا في هذه الفقرة من البحث نركز على الإيقاع الذي تولد من تكرار المقطع الصوتي (شق) في لفظة (شقشقة) فهذا المقطع هو مقطع صوتي تكون من صوت الشين وهو صوت صامت (صحيح) والفتحة هي حرف مد قصير وحرف القاف وهو صوت من أصوات القلقلة، صوت مجهور شديد[٢٤] وهذا المقطع الصوتي المتكون من هذه الأصوات الثلاثة، هو مقطع صوتي مغلق[٢٥]، أعيد مرة أخرى بدون أي فاصل، مما أحدث إيقاعاً بارزاً في النص ولّدهُ هذا التكثيف للأصوات في الوحدة الزمنية القصيرة وهذا التناسب الدقيق والنظام الذي جاء به، فتحقق للإيقاع قانونين من قوانينه هما النظام والتكرار[٢٦]، مما أكسبه عمقاً أكثر وتمكناً واضحاً في أذن المتلقي، أكسب النص القدرة على إثارة انتباه السامع وشد أحاسيسه إلى هذا القول الجميل.

كما نجد هذا التكرار في قوله عليه السلام واصفاً مسجد البصرة، مبلغاً عن حالة تحصل له في الزمن القادم على زمن إنشاء النص فهو (**كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة**)[٢٧]، فقد تكرر المقطع الصوتي (جؤ) مرة أخرى في نفس الكلمة ومن دون أي فاصل، وهو مقطع صوتي مغلق، جاء مكرراً في الكلمة مما أكسبها إيقاعاً واضحاً يستعذب أسماع المتلقين، ويعطي للنص صفة مميزة وهي متولدة من هذه الأصوات المكررة وبانتظام في وحدة زمنية قصيرة، فكأنما يردد نغماً جلياً، إذ يعد ذلك بمثابة اللازمة الموسيقية في النص، تترك أثراً نفسياً لدى المتلقي، وتشدُ سمعه وانتباهه إليها.

وقد تتظافر في النص روافد عديدة للإيقاع كالجناس الذي يعد أشهر أنواع التكرار على اختلاف أنواعه وتعددها، فالتكرار في الكلمة أو تكرار المقطع في كلمة داخل النص، مما يزيد في كثافة

الإيقاع ويقوي جرس الألفاظ ويساعدُ على إثارة المتلقي، ومن هذا التلازم بين روافد الإيقاع وتشابكها وانتظامها ما نجدهُ في قوله عليه السلام واصفاً حال قومه محذراً إياهم من فتن الزمان وصروفه (**لتبلبلنَّ بلبلةً ولتغربلنَّ غربلة**)[٢٨] ففي نص هذا المثل تكاثفت الأصوات وامتزجت، وفرها الجناس وزادها جمالاً هذا التكرار للمقطع المغلق (بل) في لفظة (بلبلة) فأحدث كل هذا التعاضد ما بين الأصوات وتواردها في صورة منتظمة متسقة إيقاعاً مميزاً، يمتلك القدرة على جذب انتباه المتلقي، لما امتلكهُ من إيقاعات متوالية منتظمة، فهي تتشكل في وحدة زمنية فتؤلف من مجموع هذه الروافد التي صقلها النظام الذي جاءت به والذي مزج بين أصواتها المتجانسة نغمةً موسيقية وإيقاعاً متميزاً عضدهُ قصر الفقرات المسجوعة مما يدلُ على (قوة التمكن وإحكام الصنعة)[٢٩] التي ميزت هذه الصيغة الدقيقة التي استطاعت أن تستثمر مجموع هذه الأصوات لتحدث نغماً موسيقياً متكرراً أسهم في الإيحاءِ بالمعنى، لأن البلبلة هي تحرك وارتجاع وعدم استقرار وهذا ربما ولدهُ هذا المزج بين الأصوات وهذا الترتيب الذي جاءت به وهي تتكرر تباعاً إذ تكرر حرف الباء (ست مرات) وتكرر حرف اللام (ثمان مرات) وتكرر حرف الهاء (مرتين)، كل هذا التكرار أنتج إيقاعاً صاخباً، فهو متميز وقادر على جذب انتباه المتلقي، وربما إسعادهُ بتحريك مكامن الإحساس للنغم الجميل والإيقاع الرشيق، وتلك فطرة الناس في حبهم للأنغام والموسيقى، وهذا الإيقاع الجميل نجدهُ في قوله عليه السلام الذي يصف فيه الخائفين المتخاذلين بأنهم ينفرون من الحرب (**نفور المعزى من وعوعة الأسد**)[٣٠] ففي هذا النص نلحظ ورود لفظة (وعوعة) وهي متكونة من تكرار المقطع الصوتي المغلق (وع) الذي يتكون من حرف المد الطويل (الواو) والفتحة وهي حرف مد قصير وحرف العين وهو من الحروف الصحيحة (الصامتة) وهو عند سيبويه (ت١٨٠هـ) مترجرج الصفة إذ يقول (وأما العين فبين الرخوة والشديدة)[٣١] وهو عند المحدثين من الأصوات المتوسطة[٣٢] وقد يكون لهذه الصفة أثرٌ في الدلالة على معناهُ.

وهذا التكرار لهذا المقطع الصوتي قد ولّد إيقاعاً خاصاً تميزت به اللفظة وأكسبت النص نغماً موسيقياً، أحدثهُ هذا التنظيم للأصوات في الزمن وهذا التكرار لها أكسبها إيقاعاً واضحاً. كما نجد هذا التكرار للمقطع الصوتي متحققاً في قوله عليه السلام واصفاً المتعلق بالدنيا قائلاً عنه (**المتعلق بها كالوغل المدفع والمنوط المذبذب**)[٣٣] فجاء بلفظة (المذبذب) وهي تشعرنا بتكرار مقطع صوتي متكون من حرف الذال والفتحة وهي حرف قصير والباء وهي حرف مجهور شديد[٣٤] وهذا ما كوّن مقطعاً صوتياً مغلقاً أعيد وبدون أي فاصل مما ولد إيقاعاً واضحاً في المثل وأكسب النص نغماً موسيقياً متميزاً، واستطاع هذا الإيقاع أن يحدث انتباهاً لدى المتلقي الى نص المثل وبذلك يحقق غرضاً سعى له منشئ النص، وهو إيضاح الفكرة وإحداث الاستجابة، ولا تتم هذه إلا بالاستعمال الدقيق للألفاظ واستثمار صفات أصواتها وصياغتها صياغة دقيقة تجلب انتباه السامع وتحقق

إيصال الفكرة إليه.

تكرار الكلمات

في أمثال نهج البلاغة، قد ترد الكلمة مكررة، ولا يتم ذلك إلا لقصد معنوي يقتضيه سياق الموقف كتأكيد لدلالة، أو إيضاح لإبهام، أو لقصد لا يتم إدراكه إلا من خلال هذا التكرار، كما أنه يوفر دلالة موسيقية هي حاجة ماسة وضرورة لنص المثل الذي يسعى دائماً إلى الانتشار والذيوع، لابد له من مظهر لفظي جميل، لا يأتي إلا بتوفر أجواء نغمية قادرة على إثارة انتباه المتلقي، وتوفير المتعة إلى نفسه، وهذا النغم قد يأتي من تكرار لفظة أو كلمة، إذ أن إعادة كلمة في نص المثل، يعني إعادة للأصوات بالترتيب الذي أدركهُ سمع المتلقي، وهذا يمثل تكثيفاً للأصوات وتركيزاً عليها، يولد جمالية في الأداء إذ نلحظ أن الإمام علي عليه السلام قد لجأ إلى (تكرار النغمة ذاتها بلا فاصل حسبما يريد المعنى من إصابة المقدار المطلوب من التأثير في أذن المخاطب ونفسه وعقله)[٣٥] لما لها من وقع جميل، امتلكته من صفات الأصوات وجرسها الذي له تأثير يتفاوت بين القوي والضعيف، والجميل والمستكره، والعذب والثقيل على السمع، ومثل هذا النوع من التكرار نجدهُ في قوله عليه السلام: (**كيت وكيت**)[٣٦] الذي يصفُ فيه من يُكثر الكلام ولا يأتي بعملٍ صالح، فهذا المثل جاء في سياق ذم لهؤلاء، وهذا التكرار الذي جاء به المثل أفاد تأكيد المعنى، كما أفاد إحداث وقع موسيقي تحقق من تكرار الكلمة (كيت) مرة ثانية في النص بعد أن فصلها عن سابقتها بحرف يمتاز بالوضوح الصوتي وهو المد القصير[٣٧] (الواو) الذي مكن النص من إظهار إيقاع مكرر دون أن تكون هنالك فاصلة زمنية طويلة، وقد تثقل النص وتبادل ما بين الأصوات، فهذا التكرار السريع أحدث وقعاً متقارباً ومتجانساً في مسمع المتلقي، فأثار انتباهه.

كما نجد هذا النوع من التكرار في قوله عليه السلام واصفاً من تغيرت طباعه الإنسانية، ولم يبقَ له من الإنسانية إلا الشكل فقط، فإذا (**الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان**)[٣٨] فقد كرر كلمتي (الصورة) و(القلب) في النص ليحدث غايتين، غاية معنوية، تؤكد المعنى، وتزيدهُ إيضاحاً، وغاية موسيقية تحدثُ في النص إيقاعاً موسيقياً يجتذب إليه أسماع المتلقين، ويوفرُ للنص جمالية في الشكل للأداء، إذ أن تكرار الكلمة ومن دون فاصلة، هو طرق متوالٍ على مسمع أثارهُ هذا الصوت، وشدهُ إليه هذا التكثيف للأصوات في الوحدة الزمنية القصيرة دون أن يخالطها صوت آخر، يولد نغمة مخالفة، تخفف التركيز، فذهب بالمتعة، والإثارة بعيداً.

فهذا التكرار للكلمة جاء من دون فاصلة، وقد يأتي تكرار الكلمة في نص المثل على مسافة أبعد، إذ قد يفصل بين الكلمة ومكررها، بحرف أو كلمة أو جملة، فمن ما جاء على هذه الحالة قوله عليه السلام: (**كل متوقع آت وكل آت قريب دان**)[٣٩] ففي هذا المثل تكررت كلمتان هما (كل) و(آت)، كلمة (كل) جاءت في بداية الجملة الأولى وكُررت في بداية الجملة الثانية بعد أن عُطفت بحرف العطف (الواو) وهذا التكرار يوفرُ للجملتين إيقاعاً موسيقياً متشابهاً، يقرع

سمع المتلقي، فيترك فيه إحساساً لهذه النغمة الموسيقية المتولدة من أصوات مكررة، كما أن هذا النص قد كرر كلمة (آت)، فجاء بها في آخر الفقرة الأولى، ثم أعادها بعد مقطع صوتي طويل تمثل في كلمة (وكل) فهذا التناوب بين الأصوات والعادة يولد إيقاعاً موسيقياً، يمنح النص تميزاً ويكسبهُ جمالية في الأداء.

وقد يأتي تكرار الكلمة تكراراً متوازناً لأنهُ استعمل الكلمة في بداية كل من جملتين متوازنتين وهذا ما نجدهُ في قوله عليه السلام: (**مثلُ من خبر الدنيا كمثل قوم سفر**)[٤٠] فقد كرر كلمة (مثل) في بدايةِ الجملة الثانية بعد أن فصل بين الكلمة ومكررها بجملة، وأن هذا التكرار يأتي كي يوفر للنص نغمة موسيقية ويؤكد الدلالة، فقد استطاع هذا التكرار أن يمنح النص إيقاعاً قرع أسماع المتلقين في بداية النص وأعادهُ في وسطه، ومن دون أن يخل هذا التكرار بجمالية التركيب، إذ أن التكرار يجب أن يأتي في العبارة في موضع لا يثقلها، ولا يميل بوزنها إلى جهة ما[٤١] وهذا التوازن متحقق في هذه العبارة وفي أمثال نهج البلاغة التي سبق أن أشرنا إليها، لأن التوازن هو أحد قوانين الإيقاع، كما التكرار قانوناً مهماً من قوانين الإيقاع[٤٢].

وقد يأتي تكرار الكلمة في النص بعد فاصلة تكون شبه جملة كما في قوله عليه السلام واصفاً الدهر بأنه: (**يومان: يوم لك ويوم عليك**)[٤٣] فجاء بكلمة (يوم) مكررة في النص بعد أن فصلها بشبه الجملة (لك) وهذا الفصل القصير بين الكلمة ومكررها، يُحدث إيقاعاً أقل شدة من الإيقاع الذي يوفره التكرار المباشر ومن دون فواصل بين الكلمة ومكررها، وقد يكون لكل من هذه الأنواع من التكرار مسوغات أوجبتها وسياق قد فرض شكلاً يلائم ما ورد من تراكيب لغوية سبقتهُ وآثر أن يوافقها، وأن ينسجم معها، حتى يكون للنص الأدبي خطبة كان أو رسالة أو وصية، إيقاعاً موسيقياً متوازناً، يستعذبهُ السامع ولا يثقلُ عليه، لأن التناسب والتوازن والنظام في الإيقاعات أمور لابد من توفرها بالنص حتى يخرج النص نصاً إبداعياً، يحمل دلالات جمالية وفنية مميزة، تساعدُ في إدراك المعنى وفي إحداث الاستجابة لأن الاستجابة لا تحدث إلا بإثارة أحاسيس المتلقي، ومنشئ النص دائماً يراعي ذلك، من خلال إثارة حاسة البصر وهو يقدم الصورة، وإثارة حاسة السمع وهو يقدم الإيقاع الرشيق، والنغمة الموسيقية الجميلة كل هذه تتضافر فتولد حسنة للنص من جمالية في الأداء ودقة في المعنى.

وهذه الإثارات الحسية السمعية نلمسها في أمثال أخرى في نهج البلاغة[٤٤] ■

---

(١) جرس الألفاظ: ٢٣٩.
(٢) م. ن: ٢٤٠.
(٣) الصاحبي: ٧٧.
(٤) ينظر: سر الفصاحة: ٨٨. والعمدة: ٢ / ٢٦١.
(٥) م. ن: ٩٥.
(٦) م. ن: ٩٦.
(٧) المثل السائر: ٣ / ١٥.
(٨) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٢٨.
(٩) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: ٣٣٨.
(١٠) الأسس الجمالية في النقد الأدبي: ٢٢١.
(١١) شرح نهج البلاغة: ١ / ٨٧.
(١٢) سر صناعة الأعراب: ١ / ٦١.
(١٣) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٦٥.
(١٤) الأصوات اللغوية: ١٦٣.
(١٥) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٨٢.

(١٦) م. ن: ١٨ / ١٢.
(١٧) سر صناعة الأعراب: ١ / ٦٣.
(١٨) الأصوات اللغوية: ٢٧٨.
(١٩) شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١١٠.
(٢٠) ينظر: العين: ١ / ٦٤.
(٢١) أصوات اللغة العربية: ١٤٣.
(٢٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ٨٧، ١ / ١٤٨، ١ / ١٧١، ٣ / ١٧١، ٦ / ٨٦، ٧ / ٤٧، ١١ / ٨٢، ١٦ / ٦٧، ١٨ / ٢٨، ١٨ / ١٠١، ١٨ / ١٦٢... وغيرها.
(٢٣) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٢٨.
(٢٤) ينظر: أصوات اللغة العربية: ١٤٣ / ١٤٥.
(٢٥) دراسة الصوت اللغوي - د. أحمد مختار عمر- مطابع سجل العرب - ط١، ١٩٧٦م: ٢٤٨.
(٢٦) ينظر: الأسس الجمالية للنقد الأدبي: ٢٢١ – ٢٢٢.
(٢٧) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٥٣.
(٢٨) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٦٥.
(٢٩) حسن التوسل: ٢١٣.
(٣٠) شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٥٥.
(٣١) الكتاب: ٤ / ٤٣٥.
(٣٢) الأصوات اللغوية: ١٨١.
(٣٣) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٠٣.
(٣٤) أصوات اللغة العربية: ١٤٣.
(٣٥) البديع – تأصيل وتجديد: ٨٣.
(٣٦) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٦٧.
(٣٧) ينظر أصوات اللغة العربية: ١٤٣.
(٣٨) شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢٢٦.
(٣٩) م. ن: ٧ / ٦٢.
(٤٠) م. ن: ١٦ ٤٩.
(٤١) قضايا الشعر المعاصر - د. نازك الملائكة، ط١، بيروت ١٩٧٩م: ٢٦٦.
(٤٢) ينظر الأسس الجمالية للنقد الأدبي: ٢٢١.
(٤٣) شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٣٥.
(٤٤) ينظر: م. ن: ٦ / ٢١٥، ٧ / ٤٧، ١٨ / ٢٢، ١٨ / ٧٣، ١٨ / ١٣٠... وغيرها.

إلى القرّاء الكرام

ننوّه للقرّاء الكرام بأنّا على استعداد تام لنشر المقالات التي تتوافق مع سياسة المجلة العامة والتي تخدم الواقع الديني والثقافي لأبناء لحمتنا.

أما إذا كانت المقالة تتناول مواضيع غير مرضية لبعض القرّاء لما يرون فيها من الأخطاء التاريخية أو نحوها، فلهم كتابة مقال يتناسب مع المعلومات الصحيحة التي يمتلكونها، ونحن ـ أسرة المجلة ـ بدورنا ننشر ذلك ليتسنى للمطالع الكريم معرفة الحقيقة، فلا مجال بعد ذلك لتوجيه اللوم على المجلة إن كانت هناك مقالات ـ حسب رأي البعض ـ تتضمن معلومات غير دقيقة، فإن القلم آلة الحق والقرطاس محله.

كما نودّ التنويه بأن المجلة على استعداد تام لنشر الانتقادات البنّاءة والإشكالات الموضوعية حتى لو كانت على المجلة نفسها، لأن العاقل من خبرته التجارب، ولكل مستشير ثقة، ولكل سرّ مستودع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسرة المجلة

قربان للوطن المؤجل*

إلى روح الشهيد السيد محمد باقر الحكيم قدس سره وقد تم تفجيره غدراً
على عتبات مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف
بتاريخ ١ رجب ١٤٢٤هـ المصادف ٢٩ آب ٢٠٠٣م

جاسم الصحيّح •
المملكة العربية السعودية

الليلُ في أفقِ (العراقِ) طويلُ ... فعلامَ ترحلُ أيها القنديلُ؟!
إن كانَ أعوزكَ الفتيلُ، فها هُنا ... في كلّ قلبٍ من هواكَ فتيلُ
وهنا الجماهيرُ الذينَ حمَلتَهُم ... بالأمسِ حُلْماً في دماكَ يسيلُ
حملوكَ هذا اليومَ نعشاً شامخاً ... وعليكَ من قبلاتِهم إكليلُ
وَتطلعوا لكَ خاشعينَ كأنّما ... غَدُهُمْ على أكتافِهم محمولُ
ووراءَهُم خرجَ (الجنوبُ) فهروَلتْ ... خلفَ الجنازةِ، أنهرٌ وَحقولُ
وتَسَلّلت (بغدادُ) من تاريخِها ... شمطاءَ.. لا غَنجٌ ولا تَدليلُ
وَعلى (الفراتِ) من الصبايا باقةٌ ... ثَكلى، وَمن أحزانِهنَّ غسيلُ
ونشيجُ مئذنةٍ تنوحُ، فيرتَمي ... ملءَ الفضاءِ نَشيجُها المفتولُ
حتى العظامُ من القبورِ تظاهَرتْ ... وَمشى النحيلُ يشدُّه المنحولُ
خرجَ (العراقُ) جميعُهُ مُتوحّداً ... في جُرحهِ، وَتخلّفَ (البترولُ)!!

* منتقاة من ديوان (**أعشاش الملائكة**) للشاعر.

سَيجفُّ هذا (الخارجيُّ)، فإنما هـوَ في بـلادِ (الـرافـديـنِ) دَخيلُ
وَتظلُّ أنـتَ جـوارَ (حيدر) مثلما يـتـجـاورُ التكبيرُ وَالتهليلُ!!
يا سيدي.. أنِفَ (ابنُ ملجمَ) أن يُرى إلا وَصـــورَتُـــه دمٌ مـطـلـولُ!
مـاذا أرادَ بكَ (الـخـوارجُ) حينما عـادوا، وعاد الشكُّ والتضليلُ؟!
أتـراهُـمُ قـرأوكَ خـارجَ وَعيهِم نصّاً، وأعـوزَهُـم لكَ التفصيلُ؟!
فَمضَتْ تفصّلكَ القنابلُ، حيثما نَـثَـرتْـكَ شَـعَّـت حـجّـةٌ وَدلـيـلُ
وَكـذا اتضحت.. فكلّ شِلْوٍ فكرةٌ عُـلـيـا، وكـــلّ شـظـيـةٍ تـأويـلُ!

* * * * *

الـيـومَ فُـجّـرتِ الـصـلاةُ بِـوِردِهـا فَـتـمـزَّقَ الـتـجـويـدُ وَالـتـرتـيـلُ
شَهَق (المقامُ) وأجهَشَت (عتباتُهُ) وَعلى (الضريحِ) تَلَعثَمَ التقبيلُ
فصحا (عليٌّ).. و(المعارجُ) حولَهُ جثثٌ تـهـاوَتْ، وَ(الـبُـراقُ) قتيلُ
وَدمُ الـنـبـوةِ فـائـرٌ وكـأنـهُ خـيـطٌ تعلّقَ بـالـسـمـاءِ، نَحيلُ
وَعلى الـتـرابِ عَمامةٌ (قُرشيةٌ) نـــوراءُ.. شـدَّ خيوطَها (جبريلُ)
سَقطَتْ سقوطَ الحمامةِ.. وجناحُها بـدم (الحسينِ) وآلِـــهِ، مَبلولُ
وَتوزّعتْ بينَ الحديدِ، وَلم يزلْ شَـــدْوٌ على منقارِها، وَهـديـلُ
يـا سـيـدي.. أكـذا النبوةُ حينما تحنو يبوسُ القاتلَ المقتولُ؟!
أتكونُ حتى في حُطامِكَ وادِعـاً وَالموتُ حولكَ مخلبٌ مسلولُ؟!
أسفي عليك بحجم عمقك، فالأسى في القلب.. لا عرضٌ يفيه، وطولُ!

* * * * *

يا سيدي.. وَمن (العراقِ) إلى دمي عِـــرقٌ نَـمَـتْـهُ مـنـاحـةٌ وَعـويـلُ
أحـمـي خـريـطـتَـهُ بِقلبي كلّما هَـــدَرتْ عَليهِ عَـواصـفٌ وَسيولُ
وَعلى التضاريسِ الحزينةِ أنحَني حَدِباً، وَموكبُ أدمُعي مَوصولُ
جُـــرحٌ يـقـودُ لآخـــرٍ، ومـآتـمٌ تُفضي لأخـرى.. والعذابُ يطولُ
هَرَبتْ إليّ مِن (المغولِ) قَصيدةٌ لِـ(أبي نـواسَ).. خمارُها محلولُ

وَشَكتْ لِيَ (الفُصحى) مذلّةَ (نَحوها) يومَ استرقَّ (الفاعلَ) (المفعولُ)
وَعـظـامُ أغـنـيـةٍ هـنـاكَ تَفَتّتْ وَانـحـلَّ مِنها لحنُها المجدُولُ
فوَقفتُ مَفجوعاً فجيعةَ شاعرٍ في الوحي ساعةَ عَـقَّـهُ التنزيلُ
غَلبَ البكاءُ عَليَّ فانزلقَتْ يَدي فـي دمـعـةٍ، وتـجـرَّحَ المنديلُ
وَصرَختُ مِن أقصى حشايَ، كأنما قَلبي على حجرِ الرَّحى مَسحولُ
حتى متى يُقضى لِـــ(آدمَ) بالأسى ظُلماً، ويُنحرُ بيننا (هابيلُ)؟!

* * * * *

يـا سيدي طَـفـحَ الـعـزاءُ مَـرارةً كُبرى، فما الصبرُ الجميلُ جَميلُ
لكنْ.. وهاهيَ ذي رفاتُكَ لم تضعْ هَـدراً.. فـذاكَ عـزاؤُنـا المعسولُ
بدماكَ جدّدَتِ (الرصافةُ) جِسرَها فَكأنما هـوَ عـارضٌ مصقولُ!
وَأطـلَّ رأسُـكَ من منارةِ مَسجدٍ في (الكرخِ).. وَهو بأفقِها قِنديلُ
ومشَى (الفراتُ) برُكبتَيكَ لِـ(دجلةٍ) فـإذا خُـطـاهُ زنـابـقٌ وَنـخـيـلُ
وبناظرَيْكَ أضـاءَ شعبُكَ دربَـهُ في الغيبِ، وانكشفَ الغدُ المجهولُ
أتُرى (العراقُ) يخيبُ فيكَ، وقد رأى رُؤيا (الخليلِ) وأنتَ (إسماعيلُ)!
لابـدَّ من (ذبـحٍ) بحجمِكَ، رُبما شَـبـحُ الـظـلامِ المستطيرِ يـزولُ
فـالـفَـنُّ يأبى أنْ يشعَّ بصَخرةٍ مَـا لَـم يكنْ يـتـوجَّـعُ الإزمـيـلُ!

* * * * *

يا سَيدي.. وَإذا القصيدةُ عُطّلتْ مِـن زَهـوِهـا، وَتـعـذَّرَ التجميلُ
فَـلأنَّ كـلّ الـقـافـيـاتِ تَرمَّلتْ يـومَ الـرحـيـلِ.. فثاكلٌ وَثـكـولُ
حُزنُ (العراقِ) عَليكَ حُزنُ فريضةٍ نُسِختْ وَليسَ لنَسخِها تَعليلُ
حُزنٌ كحزنِ الأرضِ يَومَ جَرى بها نـهـرُ الـدمـاءِ يـضُـخّـهُ (قـابـيـلُ)
قَسماً بِعِمَّتكَ التي انعقَدَتْ عَلى مـا يَرتَضيهِ الحمدُ وَالتبجيلُ
لَم يلقَ جُرحُكَ مَن يسدُّ فراغَهُ إذْ لَم يكنْ لكَ في (العراقِ) مَثيلُ
وَأعيذُ (دجلةَ) أن تكونَ بَخيلةً يَـومـاً، وَلـكـنَّ الـزمـانَ بخيلُ! ■

قصة قصيرة:

وَضاعَ الأمل

بنت العراق •

ينابيع

بخطوات وجلة دخلت امرأة شابة إلى إدارة المدرسة وسألت عن المديرة.. فرحبت بها الست عالية مديرة المدرسة، وهي امرأة قديرة ومتمكنة في عملها. فعرفت المرأة عن نفسها قائلة: أنا والدة الطفل منتظر وهو تلميذ عندكم في الصف الأول.. أهلاً وسهلاً قالت المرأة في ارتباك: هل لي أن أراه؟ فابتسمت المديرة وقالت: طبعاً.

إلاّ أنها استشفت من اللقاء أمر غير عادي. فقد حضنت الأم الطفل وراحت تقبله ثم أعطته مبلغاً من المال والحلوى والطعام وبدأت تسأله عن حالهم وعن أدق تفاصيل حياته كيف تدرس؟!... متى تنام... و... و... الخ. فما كان لها إلاّ أن تستفسر عن نوع الزيارة؟! فشعرت المرأة بالحرج.. ولم تجد بدّاً من الاعتراف قائلة: أمر أنا وزوجي بظروف عصيبة ولا أستطيع رؤية ولدي فقد حرمني من ذلك... ولهذا جئت إلى هنا... فرحبت بها المديرة ودعت من الله أن يلم شمل الأسرة من جديد.

ومرت الأيام... كانت أم منتظر تأتي كل خميس لرؤية ولدها... أما منتظر فكان أجمل يوم لديه الخميس... ولم يعد دخول المديرة إلى صفه واستدعاؤه إلى إدارة المدرسة يشعره بالخوف والوجل بل على العكس كان يبتسم لمرآها وتتلألأ عيناه بالفرح ويقفز من مكانه فيتبعها... لأنه يعلم أنه حال وصوله إلى غرفة المديرة سيكون في أحضان أمه وستغدق عليه العطاء والحنان.. وفي داخله يحفظ كل ما يحصل في المنزل خلال الأسبوع ويضيف عليه من مخيلته لسرد ذلك على والدته ويجيب على أسئلتها بإسهاب عسى أن تبقى قربه وقت أطول.. ثم يأخذ منها كيس الحلوى ويحرص أن يخبئه في مكان لا يراه فيه أحد... ويأكل منه ببخل شديد كأنه يخشى إذا أكل الحلوى بسرعة فستضيع ذكرى أمه.. كان يحتمل جحيم البيت وصراخ والده وقسوته أحياناً لأجل يوم الخميس، تلك الساعة التي يقضيها مع والدته وتسأله عن أدق تفاصيل حياته.. تعيد إليه ثقته بنفسه وتشعره أنه ما زال مهماً... وتزوج الأب ودخلت البيت امرأة أخرى وعرف منتظر بتفكيره القاصر أنه أصبح

من الصعب عودة أمه إلى المنزل.. ولكن لا زال يوم الخميس متنفسه.. أصبح يحب المدرسة ويتمنى لو يذهب إليها حتى أيام العطل ويحب أكثر الست عالية التي تومئ إليه بابتسامتها فيتبعها وهو يكاد يطير فرحاً.

وازداد جو البيت قسوة.. إلا أنه كلما واجه موقفاً مؤلماً لجأ إلى غرفته وكان يخرج شيئاً من الحلوى فيأكلها ويشعر بالأمان والراحة.. حكى ذلك إلى والدته.. فبكت.. وضمته إلى صدرها، إنها تبكي.. لأول مرة!! ولم يعرف سبب بكائها إلا بعد حين.

عندما مرّ يوم الخميس و(منتظر) يلاحق الست عالية أينما ذهبت خلال الفرصة.. ملازماً لباب غرفتها بانكسار أما خلال الدرس فعيناه مسمّرة على باب الصف ينتظر إطلالتها المحببة.. وتمنى لو أن الدوام لا ينتهي.. لكنه انتهى.. ورحل الصغار إلى أهلهم.. فغادر المدرسة منكسراً وتلاشت الحكايات التي حفظها ليقصها إلى أمه.. إلاّ أن الأمل عاوده.. لابد أن تأتي إنه خميس آخر.. إذا جاءت سيذهب ويعيش معها.. حتى لا ينتظرها كل خميس..ومر اليوم وانتهى.

هل يمكن أن يكون قد أغضبها.. أو أزعجها.. هل كان كسولاً؟ أم أن ملابسه متسخة! كانت دائماً توصيه بالنظافة وأن يكون مجداً سيسأل الست عالية.. ومن أين له الشجاعة؟! وجاء الخميس وجاء معه الأمل.. دخلت الست عالية الصف إلا أنها لم تنظر إليه. فتسارعت دقات قلبه الصغير وإذا به يصرخ بدون شعور ست.. ست.. هل جاءت أمي؟ فنظرت إليه بأسى وصحبته إلى غرفتها.. أجلسته إلى جوارها مسحت بيديها وجهه.. فشعر بالأمان وسألها عن أمه. قالت: كلنا أمهات لك ونحن نحبك وإذا احتجت إلى شيء فتعال إلى هنا.. واضح.. وأمي ألا تأتي إلى هنا؟! لا يا حبيبي أظنها سافرت بعيداً.

ـ أنا أمك وكل معلمة في المدرسة هي أمك أليس كذلك؟ أومأ برأسه بالإيجاب.. وهو يعلم أن ذلك لن يكون.. فإنها لا تسأله عن أدق تفاصيل حياته ولا تضمه إلى صدرها حتى يشعر بدقات قلبها قرب أذنيه.. ولا تستمع إلى حكاياته التي يحفظها طوال أسبوع ليسردها لها.. لن تكون الست عالية أمه أبداً فهي حتماً لديها صغار تعطيهم الحلوى وتسمع حكاياتهم وتمسح دموعهم عاد إلى الصف وبخيبة مريرة حمل حقيبته على ظهره.. وغادر المدرسة قبل جميع التلاميذ عليه أن يبحث عن أمه عسى أن يجدها.. ويسافر معها ■

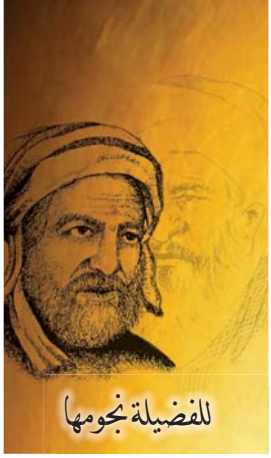

من أعلام كربلاء..

الشيخ محمد حسن أبو المحاسن

(١٢٩٣ - ١٣٤٤هـ)

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

الشيخ محمد حسن أبو المحاسن الكربلائي من الأسماء المضيئة في عالم الفكر الإسلامي، وأحد شعراء العراق الوطنين الذين ساهموا مساهمة فاعلة في الدعوة للثورة على الحكم البريطاني الغاشم، وهو أحد الأصوات الجريئة في ثورة العشرين حتى كان لسانها المعبر عنها ألماً وأملاً وحزناً وقرحاً، وقد سجلت له مواقفه ابان تلك الثورة كثيراً من الخطب الوطنية والقصائد القومية التي قالها في الدفاع عن الوطن وعن حدة المسلمين خدمة قضاياهم.

ولادته ونشأته

هو الشيخ محمد حسن الملقب بـ(أبي المحاسن) بن الشيخ حمادي بن محسن بن سلطان بن كاطع الجناجي، وهم بطن من عشيرة آل علي التي تسكن قرية (جناجة) التابعة لقضاء الهندية (طويريج)، وعشيرة

آل علي من بني مالك، وهي قبيلة عربية كبيرة تنتهي في نسبها إلى مالك الأشتر، التي منها الشاعر الشيخ محمد حسن المتوفى سنة ١٣٤٤هـ[١]، ومن جهة الأم ينتسب إلى أسرة السادة (آل نصر الله) خلافاً لما يراه بعض المتأدبين الذين حاولوا تغيير هذه الحقيقة في الكتابة مؤخراً عن الشاعر المذكور.

ولد في كربلاء سنة ١٢٩٣هـ في زقاق السادة بمحلة باب بغداد ونشأ بها واغترف العلم من المناهل التي وردها في حوزة كربلاء العلمية، ومن أساتذته الشيخ كاظم الهر[٢] والسيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني[٣] والسيد عبد الوهاب آل وهاب[٤].

هذه الصفوة وغيرها أثرت في حياته تأثيراً غير قليل وطبعوا نظرته إلى الحياة بطابع خاص، ولذلك فلا عجب أن رأى صروح العلم ومنارات النور ترتقي في هذه المدينة الخالدة.

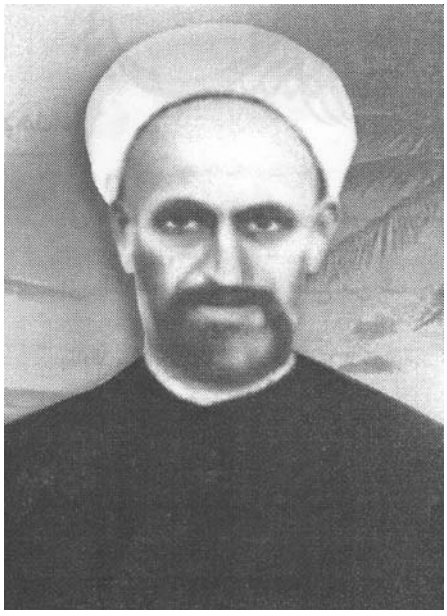

ينبغي أن نعرف أن آراء أبي المحاسن وأفكاره صورة صادقة لمكانه وزمانه.

أما عن ثقافته وعلمه فقد قرأ مختلف أنواع العلوم الشرعية والنحوية وتضلع في علوم العربية كما نهل من دواوين فحول الشعراء (الجاهليين والإسلاميين والعباسيين)، وإذا كان لأساتذته فضل في توجيه ملكته وطاقاته وصقلها، فأن جهده لا يعدم بما حفظ وقرأ فلا يمل ملازمته للمكتبات، يتصيد الشاردة والواردة ليزيد من سعة اطلاعه ومعرفته حتى برز فنال من الرعاية ما ينمي جهده، فمكنه ذلك من الإحاطة الواعية الشاملة. أحب دراسة خصائص اللغة العربية فقرأ في كتب فقه اللغة القديمة والحديثة، وكان يجد متعة ما بعدها متعة في دراسة الثقافة الإسلامية، واشتهر بولعه للنادر من المخطوطات وهيامه بجمعها. ومارس قرض الشعر منذ حداثته واستمر في نظمه عبر مسيرة حياته فكانت له مهارة في الأداء والعناية اللازمة.

من السجن إلى وزارة المعارف

على أن الذي يعيننا قبل كل شيء هو أن نسجل أن أبا المحاسن كان أحد أقطاب ثورة العشرين.

يقول البصير: وشاءت الظروف أن تكون كربلاء خلال سنتين ١٩١٩ و١٩٢٠ مركز نشاط سياسي كبير بسبب إقامة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي رجل الحركة العراقية الوطنية الأكبر فيها فساهم المترجم له في هذا النشاط وكان انضمامه إلى حزب سياسي سري ألّفه الشيخ محمد رضا كبير أنجال الإمام

الشيرازي، فلما خبت نار الثورة وأعيد احتلال كربلاء في خريف سنة ١٩٢٠ ألقي القبض على المترجم وأرسل إلى الحلة حيث سجن بضعة أسابيع ثم أطلق سراحه وعاد إلى السكون والانزواء.

وفي تشرين الثاني من سنة ١٩٢٣ دعي المرحوم جعفر العسكري إلى تأليف الوزارة على أثر استقالة السعدون من الاضطلاع بتبعات الحكم فرشح أديب وطني ذو صلة ببعض المقامات السياسية العالية صاحب الترجمة لمنصب وزارة المعارف في هذه الوزارة ولقي ترشيحه أذناً صاغية فعين وزيراً للمعارف[٥].

وفي آب من سنة ١٩٢٤م انسحبت الوزارة العسكرية الأولى من منصة الحكم، فانسحب المترجم له من ميدان العمل نهائياً فقضى بقية أيامه متنقلاً بين كربلاء وقريته جناجة، حيث خرج إليها مع عائلته فراراً من حوادث كربلاء وأقام بين أسرته ورهطه في القرية.

وفاته

وفي ١٣ من ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م اصطفاه الله إلى جواره وذلك بالسكتة القلبية ودفن في الصحن الحيدري بالنجف الأشرف[٦].

دوره في ثورة العشرين

وعندما اشتدت الحركة الوطنية في كربلاء وكثرت دواعي النشاط، تألفت جمعية سرية تحت إشراف المغفور له الشيخ محمد تقي الشيرازي ورئاسة نجله الميرزا محمد رضا وعضوية الشيخ أبو المحاسن والسيد عبد الوهاب آل طعمة والسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني والسيد حسين القزويني وعمر الحاج علوان وعبد الكريم آل عواد وطليف الحسون النصراوي وغيرهم، وأخذ أفراد هذه الجمعية يوالون اجتماعاتهم ويبثون الدعاية الوطنية يوفقون بين رؤساء العشائر وزعماء الفرات لإزالة ما أحدثته سياسة الاستعمار من ضغائن وأحقاد، وهكذا توسع نطاق الحركة الوطنية كانت مضبطة كربلاء التي رفعها مندوبو كربلاء المشرفة وما حولها، علماؤها وأشرافها وساداتها وزعماؤها وكافة طبقاتها ومنهم شاعر كربلاء الحاج محمد حسن أبو المحاسن فقد انتدبت هؤلاء الممثلين لينوبوا عن أهالي المدينة أمام الحكومة الاحتلالية في تبليغها المطالبة بحقوق الكربلائيين التي اعترفت في استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً[٧].

وقد تشكلت جمعيات أخرى في كربلاء ومجالس أشهرها المجلس الملي الأعلى حيث كان الشيخ الحاج محمد حسن أبو المحاسن الشاعر الموهوب يمثل السادة العلماء في هذا المجلس[٨].

كما وتشكل المجلس العلمي الأعلى بأمر آية الله الشيرازي وكان الشاعر أبو المحاسن همزة الوصل بين العلماء ورؤساء العشائر.

نماذج من شعره

تألق نجم أبو المحاسن في عالم الشعر والنثر، واستهواه الشعر منذ نعومة أظفاره، واستحوذ على كل مشاعره، فقد كان قمة شامخة في سماء الشعر العربي لما له من دور بارز في الثورة، ولقد قلت فيه: (فنان متمكن من فن الشر، كان

مدرسة كربلاء الابتدائية ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٢م

الجالسون في الوسط: من اليمين: الشيخ محمد القريني (معلم)، السيد عبد الكريم (معلم)، الشيخ منعم العكام (معلم)، السيد محمد السيد عيسى (مدير مدرسة الحسينية)، السيد مصطفى (مدير مدرسة كربلاء الابتدائية)، وزير المعارف الشيخ محمد حسن أبو المحاسن، عثمان العلوان، السيد عبد الوهاب آل طعمة (رئيس البلدية)، السيد هاشم الخطيب (معلم).

يحيا حياةً مترفة يصورها شعره السهل في الناظر، فقارئه لا يحتاج إلى تفكير ولا إلى تعب في استجلاء صوره ومعانيه لسهولة أسلوبه. كان رحمه الله شاعراً متين السبك رائع النظم، يمتاز شعره بالانسجام والرقة مع الجزالة إلى جانب قوة الإبداع، يتهيأ له في كثير من قصائده نضج فني يدلل على أنه حلو الديباجة، واضح المعنى، يأسر السمع ويستحوذه على الأفئدة ويمتع الألباب بالمشاهد الحية والصور الصادقة قلّ أن يوفق إليها فنان ماهر[٩]، ففي قصيدة (العزم الثائر) شعر حماسي أصيل مزج فيه بين الدعوة إلى حمل السيف وبين الفخر بنفسه وبقومه، اسمعه يقول:

لنفسي هاد للعلى ودليلُ
وللعز مني صاحب وخليلُ
ولي همة تعلو ذرى كل باسق
وتقصر عنها الشهب وهي تطولُ
وأمضي ولي ماضٍ من العزم مرهف
يرد عرار السيف وهو كليلُ[١٠]

ومن قصائده الوطنية التي يجسد فيها النفس العربية المتطلعة إلى حياة أسمى قوله:

يا أيها الوطن العزيز لك الهنا
قد نلت أشرف بية ومراد
سيعيد تاريخ العلا لك نفسه
ويعود مجد رجالك الأمجاد

إلى أن يصل قوله:

فمتى تؤلف وحدة عربية
وطنية الإصدار والإيراد
ليس العراق بموطني هو وحده
فبلاد قومي كلهن بلادي[١١]

إن أعظم ما تصبو إليه الشعوب والأمم لاسيما المسلمين والعرب هو الوحدة الوطنية ومتى تحققت في أرض الواقع تحققت الوحدة الوطنية في الأمة وهي شرط من شروط النصر الذي نحن بأمس الحاجة إليه وهي الغاية التي نطمح إلى تحققها.

ومن مواقفه الوطنية في ثورة العشرين أنه ألقى خطبة في الصحن الحسيني الشريف بتاريخ ٢٦ رمضان ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) حرض فيها المواطنين على السعي لتحقيق الاستقلال الوطني وتشكيل حكومة أهلية دستورية نيابية، ثم أعقب حطبته بقصيدة حماسية أعلنها حرباً شعواء لا هوادة فيها ضد السلطات البريطانية، وأولها:

وثق العراق بزاهر استقباله
والشعب متفق على استقلاله
أضحى يؤمل نيل أشرف غاية
يا رب أوصله مدى آماله
فله إلى التحرير وهو حبيبه
نظر المشوق المستهام ألواله
قالوا له صبراً وقد غلب الهوى
فأجابهم لا صبر دون وصاله[١٢]

وعلى أثر احتلال الإنكليز لكربلاء المدينة العربية الثائرة من أوائل شهر صفر سنة ١٣٣٩هـ كان الشاعر أحد الثوار السبعة عشر الذين طلبت بريطانيا تسليمهم للمحكمة في مدة لا تجاوز الأربع والعشرين ساعة وقد سلم أولئك المناضلون الأحرار أنفسهم إلى السلطة الاستعمارية ماعدا ثلاثة منهم وهم السيد محسن أبو طبيخ والحاج مرزوك العواد وعمران الحاج سعدون فقد لجؤوا إلى خارج العراق، أما الشاعر وإخوانه المكافحون الحاج سماوي الجلوب والسيد هبة الدين الشهرستاني والسيد أبو القاسم

الكاشاني والسيد محمد الكشميري والسيد حسين القزويني والميرزا أحمد الخراساني والشيخ محمد الخالص وعبد الجليل آل عواد وعبد الرحمن آل عواد وطيفح الحسون ورشيد المسرهد والسيد حسين الددة والسيد عبد الوهاب آل طعمة فقد اعتقلوا في الهندية والحلة، بضعة أسابيع جرت خلالها محاكمتهم الكيفية، وحكم عليهم بأحكام مختلفة ثم صدر قرار العفو العام من قبل مندوب بريطانيا في العراق (السير برسي كوكس) وإطلاق سراحهم في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٩هـ[١٣].

وفي سجن الحلة يعبر شاعرنا أبو المحاسن عن كل ما يجيش في نفسه من عواطف وآمال فيقول في قصيدته له:

أنا والنجم كلانا ساهر
غير أني مفردٌ بالشجن
لا أبالي والمعالي غايتي
وصل أشجاني وهجر الوسن
في سبيل المجد منا أنفس
رخصت وهي غوالي الثمن
ليس غير الشعب واستقلاله
لي شغل فهو أضحى ديدني
أن أكن أحسب فيكم مجرماً
فأنا المحسن عند الوطن[١٤]

أما في الغزل فله صور حية معبرة جرسها موسيقي نابض بالتعبير، فهو لم يتهتك ولم يتبذل، فلا تعثر في شعره على الألفاظ التي تخدش الخلق، اسمعه يقول:

هز الدلال قوامها الأملودا
مرحا فأخجلت الغصون الميدا
ورنت بأجفان تصيد لحاظها
وهي المهاة ضراغماً وأسودا
غيداء مرهفة المعاطف تنثني
غضاً وتبسم لؤلؤاً منضودا[١٥]

ويحسن شاعرنا الوصف لاسيما وصفه للطبيعة، وكانت كربلاء تعج بالبساتين والحقول اليانعة ومياه وأنهار جميلة، فالشاعر يرسم لنا صوراً جمالية أخاذة بريشة فنان مبدع فيقول:

بوركت يا زمن الربيع الناضر
ما أنت إلا بهجة للناظر
ما زرت ربعاً شبقاً إلا وقد
فرش المزور خدوده للزائر
أقبلت يا ملك البسيطة رافلاً
بمطارف الحسن السني الباهر
فتضوعت أزهار كل خميلة
تجريك بالنعماء حمدَ الشاكر[١٦]

ولا يفوتنا أن نقرر أن عناية أبي المحاسن بالحث على ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية إلى مكارم الأخلاق والآداب والحقوق والواجبات ومحبة العلم والآراء الجيدة التي تغرس الحياة في نفس المستفيد بهمة عالية دأب متواصل لا يعرف الكلل. لاشك أن فكرة التعمق في الدراسات اللغوية وقراءة مجموعة من معارف المتقدمين هي التي أوحت له أن يكون نسيج وحده في باب الشعر، فالظروف البيئية هي التي خلقت منه الحجة البالغة في فهم اللغة والأدب والقرآن ثم انتهت، إلى أن ذلك فضل الله يؤتيه ما يشاء.

إن قصائد الشاعر كأبنائه تتساوى حظهم عنده من البر والإشفاق. فقد طرق موضوعات شعرية مختلفة كالرثاء والمديح والغزل والقضايا الوطنية وما إلى ذلك.

من شعره في الإمام الحسين عليه السلام قوله:

أقلا علي اللوم فيما حنى الحب
فإن عذاب المستهام به عذب
وصلت غرامي بالدموع وعاقدت
جفوني على هجر الكرى الأنجم الشهب
تقاسمن مني ناظراً ضمنت له
دواعي الهوى أن لا يجف له غرب

إلى أن يقول:

قضى ابن رسول الله فيك على الظما
وقد نهلت منه المهندة العضب
وجفت به سمر القنا فكأنه
لدى الحرب عين والرماح لها هدب[١٧]

لطائف شعره

وفي مجلس ضم أدباء كربلاء، نظم أبو المحاسن مقطوعة مرتجلة ملغزاً فيها باسم (قمر) تدل على قدرتة في النظم على البديهة والتصوير:

ما اسم ثلاثي جميل منظر
يبهج أبصار الورى بأنسه
إذا عشقت طرده لم يبق من
نفس عميد القلب غير عكسه
مغرى بطول السير إلا أنه
يحثه للسير طبع نفسه
يسيء بالأخت على إحسانها
شتان بين جنسها وجنسه[١٨]

ومن مداعبة له مع الشيخ اليعقوبي في جناجة أيضاً:

ومفطر يعدو على صائم
لهفان في ناحية الشاطي
لا الكأس تصبيه ولو أنها
من كف أحوى رشأ عاطي
ينشدني الشعر الرقيق الذي
كأنه الدر بأسماط[١٩]

ويداعب المرحوم الشيخ علي بن قاسم الحلي وكان من المعمرين:

أمعمراً عمر النسور إلى متى
تبقى وأنت الميت في الأحياء
حدث فلا حرج حديث جذيمة
ما كان قصته مع الزباء
وعن البسوس وماضيات حروبها
حدث فإنك حافر الهيجاء[٢٠]

كانت لأبي المحاسن لحظات يستطيب فيها الفكاهة والمزاح، وكان يمزح ويسمح لطلبته بالمشاركة فيما يلقي عليهم من المزح والفكاهات، فهذا الشيخ محمد علي اليعقوبي أحد أبرز تلامذته يمزح معه في هذه النادرة.

في أواخر شهر رمضان دعي الشيخان أبو المحاسن واليعقوبي إلى وليمة إفطار في مقاطعة (جناجة) بالهندية، ومن الطريف أن كانت على المائدة (دجاجة مشوية) فتنازعها الاثنان فقال أبو المحاسن على سبيل المداعبة والمفاكهة...

إن ابن يعقوب أضحى
منادمي في جناجه
يشف رقة طبع
كما تشف الزجاجه
ما أفطر اليوم إلا
لكي يلف الدجاجه

فأجابه الشيخ اليعقوبي:

أبا المحاسن ما لي
سواك الناس حاجه
قد شمت منك محباً
يحكي الهلال انبلاجه
لذاك أفطرتُ يومي
ما بين أهل جناجه
فلا تقل عفت صومي
لكي ألف الدجاجه[٢١]

ولئن كانت لنا كلمة أخيرة في ديوانه فإننا نقول: إن قصائده جاءت والتجارب

تصحبها والمناسبات توافيها بالمادة الحية، نرى فيها الصور الإسلامية الحية.

يبقى دوي الشاعر المرتفع الأبي، ملء الآذان والبصائر، ويبقى صوته يهدر في ضمير الإنسان، فيعانق الخلود ولعلي لا أعدو الحقيقة إن قلت بأني وجهت نداءً في الصحف والمجلات العراقية لمطالبة المسؤولين بالاهتمام بآثار الشاعر الوطني أبي المحاسن وصنع تمثال له في إحدى ساحات كربلاء تقديراً لمآثره الأدبية الفذة، لكن النداء لم يستجب له أحد.

ختاماً، أهيب بالعراقيين الغيارى أن يعطوا هذا الرجل حقه من الاهتمام والعناية في غضون الأيام المقبلة، ومن أولى بالعناية من هذا الشاعر الذي كان ثورة على الظلم والاستعمار ورائداً للشعر الوطني ■

---

(١) أنساب القبائل العراقية، السيد محمد مهدي القزويني، ص٧٣ حاشية.

(٢) الشيخ كاظم بن الصادق الهر الحائري، شاعر متميز له ديوان شعر مخطوط.

(٣) السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفى سنة ٣١٥هـ وكان من الأمثلة النادرة في الورع والتقوى. مجلة (ينابيع) ع٢١ السنة (ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٨هـ) ص٦٨.

(٤) السيد عبد الوهاب بن السيد علي بن السيد سليمان الوهاب الموسوي المتوفى سنة ١٣٢٢هـ شاعر فصيح اللفظ شديد الأسر جميل السبك.

(٥) نهضة العراق الأدبية، د. محمد مهدي البصير ص٣٤٨ (بغداد ١٩٤٦).

(٦) أبو المحاسن الشاعر الوطني الخالد – سلمان هادي آل طعمة (كربلاء١٩٦٢).

(٧) كربلاء في التاريخ – السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة (كربلاء١٩٣٥).

(٨) الثورة العراقية الكبرى، للسيد عبد الرزاق الحسني ص١٨٨وانظر: ط٥ (بيروت ١٩٨٢)، الحقائق الناصعة، لفريق مزهر الفرعون ج١ ص٢٤٨ (بغداد١٩٥٢) والسيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة ج٣ ص٢٥.

(٩) دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان هادي آل طعمة ص١٣١.

(١٠) ديوان أبي المحاسن الكربلائي، تحقيق: الشيخ محمد علي اليعقوبي ص١٥٩ (النجف١٩٦٣).

(١١) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص٥٧ وانظر: النخبة من أدباء كربلاء، لنور الدين الشاهرودي (طهران٢٠٠٦)، والأدب العصري، لرفائيل بطي ج٢ ص١٣٤ (القاهرة ١٩٢٣)، وشاعرية أبي المحاسن، لخضر عباس الصالحي ص٥١ (النجف ١٩٦٥).

(١٢) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص١٦٠.

(١٣) شاعرية أبي المحاسن، لخضر عباس الصالحي ص٦٩.

(١٤) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص٢١١ وشاعرية أبي المحاسن ص٧١.

(١٥) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص١٣٦.

(١٦) المصدر السابق ص١٣٠.

(١٧) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص١٨ وانظر: النخبة من أدباء كربلاء ص٣٢.

(١٨) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص ١١٧.

(١٩) المصدر السابق ص١٢١.

(٢٠) المصدر السابق ص٢٠.

(٢١) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص٤١ وانظر: مجلة (فيض الكوثر) ع ١١/٢٨، (٢٥ رمضان ١٤٢٥هـ) ص٣٥.

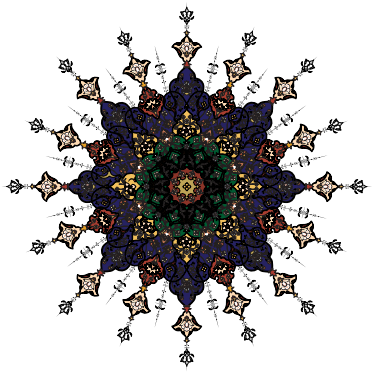

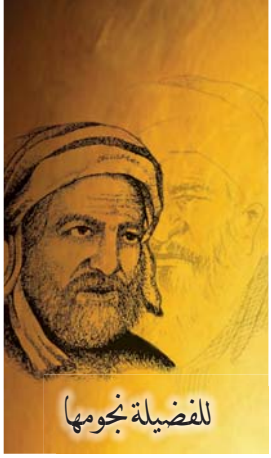

علماء مغمورون..

الشيخ عباس الرميثي أنموذجاً

(١٣٢٨ - ١٣٧٩هـ)

حسين جهاد الحساني •
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

ينابيع

عندما نحاول الاقتراب من سيرة بعض العلماء فلابد لنا من جرأة حقيقية وتحقيق موضوعي لدراسة ما عن تلك الشخصيات.

فالتاريخ ظل بمنأى عن ذلك إذ لم يجرأ المؤرخون والباحثون على إيجاد صيغ علمية لاستنتاج ما ظل في طي النسيان وفي ظلامة التاريخ، فضلاً عن أن هناك كثير من الأحداث والوقائع والأعلام حفظ تاريخهم سبب أنه قد تم تدوينها وتوثيقها وتسطيرها في المخطوطات والكتب المطبوعة، وانتقلت من جيل إلى جيل حتى وصلت إلى جيلنا الحاضر وبدوره يسلمها لمن يأتي من بعده من الأجيال.

وبالطبع هناك أحداث هامة ووقائع مهمة أعلام عظام طويت سيرتهم طي النسيان وحملتهم يد الظلم وذلك لعدم تدوينها وتسجيلها في صفحات التاريخ، ولهذا السبب لم تحفظ ولم يتم الإفادة منها لكونها لم تذكر في جهة ما، ولم تتناقلها الأجيال فاندثرت على مر العصور.

ومن تلكم الشخصيات برز مترجمنا الشيخ (عباس الرميثي) التي مدت إليه يد التاريخ الظالم لتركنه على رفوف هذه

الظلامة البشعة وليدخل في صفحة النسيان التي لحقت غيره من العلماء...

لذا فقد كانت لمجلة ينابيع القدح المعلى في استذكار وإحياء مثل هذه الشخصيات العظيمة علنا نستذكر قرائنهم في صحفات هذا التاريخ الظالم.

سيرته العائلية

هو الشيخ عباس بن عبود بن الحاج خلف بن الحاج هلال المالكي الرميثي نسبة إلى مدينة الرميثة.

ولد شيخنا الجليل سنة ١٣٢٨هـ من أبوين شريفين فوالده الحاج عبود من الشخصيات المعروفة في مدينة السماوة ووالدته هي العلوية الطاهرة من البو سيد نور، مع أن والده قد تزوج من امرأة أخرى، فأنجب الوالد من العلوية الأولى أخوين لمترجمنا هما الحاج عيد والحاج كاظم، ولهم عدة أخوات من أمهما العلوية الجليلة، أما أخوته من زوجة والده الأخرى فهما اثنان أيضاً.

أما مترجمنا فقد تزوج من اثنين أيضاً، الأولى وهي أم محمد فقد أنجبت له ثلاثة أولاد، وهم: محمد وهو تاجر أقمشة في بغداد الآن، وعلي وهو مقاول أيضاً في بغداد، ومحمد كاظم مقاول أيضاً، وأربع بنات، أما الثانية وهي أم حسين، فقد أنجبت ولدان وأربع بنات، وأولاده هم: حسين فقد وافاه الأجل، ومهدي فقد سقط تحت وطأة الطاغية صدام فأعدمه إذ كان طالباً في حينها.

سيرته العلمية

لاح في الأفق توجهه الديني والعلمي منذ نعومة أظفاره وتحديداً عندما كان عمره بين العاشرة والثانية عشرة، عندما كان يترك محل والده في الرميثة ليتوجه إلى الشط ليتوظأ منه ثم يذهب إلى مسجد المنطقة ليبدأ بقراءة القرآن وأداء الصلاة.

ثم هاجر الى النجف في أوائل شبابه بصحبة جده بعد وفاة والده، وسكنا بيتاً في محلة الحويش بعد أن اشتراها له جده من شخص يدعى بـ(داود). فبدأ بدراسة أوليات ومقدمات العلوم عند علماء عصره آنذاك...

أساتذته في التدريس

بعد أن أكمل مقدمات العلوم، حضر على علماء عصره ولازم حلقات مشاهير المدرسين وكان في مقدمتهم الحجة الشيخ محمد رضا آل ياسين، وقد لازم أستاذه آل ياسين ملازمة شديدة إلى أن وافاه الأجل عام ١٣٧٠هـ وحضر عند السيد حسين الحمامي والسيد عبد الهادي الشيرازي، ولازم هذا السيد الجليل بعد وفاة أستاذه الأول آل ياسين، وكان السيد يحترمه وينوه

بعلمه ويشير إليه. وقد حدثني أحد أقربائه بأنه أيضاً قد لازم آية الله العظمى النائيني في درسه...

علمه ودراسته

بعد أن أتم جميع دراسته من مقدمات وسطوح وخارج اكتملت البنية الأساسية لشخصية الشيخ العلمية، حتى أصبح من العلماء العرب البارزين في فقهه وجودة نظره وذلك لكثرة اطلاعه على أغلب موسوعات الفقه حتى إنه حفظ جميع أجزاء كتاب جواهر الكلام للشيخ الجواهري، وأصبحت حلقته الدراسية من أفضل الحلقات، ودرسه اتصف بالتجديد في الآراء الفقهية مما أثار في وقته جدلاً وتوجهاً عالياً في حضور دروسه، ويصف لنا الشيخ عبد الحسين نعمة، وهو أحد تلامذته إذ يقول: (تتلمذت عند هذا الشيخ الصافي الذهن المتمكن في كل ما درسه ودرسه، إذ كانت دراسته الفقهية نموذجاً جديداً عن الدراسة، حتى كان شرطه لنا قبل البدء بالدرس أن نهيئ الأدلة من كتاب وسنة وإجماع وأدلة عقلية وغيرها، إذ كان الشيخ يقرأ المسألة محل الدرس ثم يطبق الكتاب ويضعه جانباً ويبدأ الاستدلال على المسألة، ويكون الشيخ واحداً منا يناقش ويستدل ويدافع تارة عن رأيه وأخرى عن رأي المؤلف.

فمن ذلك علمنا كيفية الاستدلال عن الحكم واستنباطه من مظانه.. وهذا ما أشار إليه الشيخ باقر القرشي حفظه الله، إذ قال: إنه كان أفضل فقيه في عصره...

تلامذته

لا ريب أن لمثل هذه الشخصية العلمية المتجددة في وقته تلامذة كثر إذ لم نستطع أن نعدهم أو نحصيهم، إلا أننا استطعنا استجماع قوانا البحثية في معرفة أهمهم، فقد كان في مقدمتهم آية الله العظمى المرجع الكبير الشهيد محمد باقر الصدر، إذ بدأ التلمذة تحت يديه منذ صغره.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى نبوغ هذا السيد الجليل، فضلاً عن أن الشيخ كان يستعين به للتعليق على بعض رسائله وتقريراته، وقد تأثرت شخصية السيد الشهيد بشخصية أستاذه من حيث تجديده في العلوم الفقهية وكيفية طرحه للآراء الجديدة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف وكذلك تتلمذ عليه شخصيات علمية عالية القدر كان لها شأنها في الحياة العلمية والفكرية والاجتماعية، من أمثال: الشيخ محمد حسن آل ياسين، السيد محمد بحر العلوم، العلامة الكبير السيد علوي بن السيد أحمد البحراني والشيخ عبد الحسين نعمة بن الشيخ محمد علي نعمة، الشيخ باقر بن الشيخ موسى آل أبي خمسين، والسيد ناصر السيد هاشم السلمان، والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ أسد حيدر، والشيخ أحمد الطرفي، والشيخ محمد علي الخمايسي، والشيخ عبد الأمير قبلان، والشيخ محمد جواد مغنية، وغيرهم من تلامذته والتي لم تسعفنا المصادر في إحصائهم وكتابتهم...

تأسيس جماعة العلماء

بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ انتشرت بعض الجماعات والحركات والأحزاب العلمانية وغير الدينية والتي تدعو إلى بث روح الفرقة والتمزق بين أفراد المجتمع الواحد وذلك عن طريق نشر بعض الآراء والمعتقدات والتي تخالف الشريعة الإسلامية من ناحية

والعرف الاجتماعي من ناحية أخرى.

لذلك قامت مجموعة من العلماء سميت نفسها باسم (جماعة العلماء) في النجف الأشرف للوقوف ضد هذه الأفكار والمعتقدات إذ أصدرت هذه الجماعة مجموع من المنشورات الدينية عندما لمسوا وجوب القيام بالدعوة إلى توحيد الكلمة ونبذ الفوارق بين طبقات المجتمع وإزالة الترسبات والعوائق التي تركتها تلك العهود المظلمة.

إذ تأسست هذه الجماعة من مجموعة من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف في مقدمتهم كان شيخنا الجليل ولعله كان أفضلهم من الناحية الفقهية المشهود له بها في حينه، والغريب عند مراجعتي للمصادر والتي تشير إلى تأسيس هذه الجماعة لم ألحظ إلا القليل جداً منهم من يذكر أن لهذه الشخصية الجليلة كان لها دوراً مهماً في تأسيس هذه الجماعة، وهذه أيضاً من الظلامات التي وقعت لهذا الشيخ، مما قلل من شأنه من تأسيس هذه الجماعة، فضلاً عن ذلك فإنه لم يذكر بصورة أكبر بسبب أن الأجل قد وافاه بعد تأسيس هذه الجماعة بعام تقريباً...

آثاره

لم يترك شيخنا المترجم من آثاره ما يدلنا عليه أكثر إلا رسالة عملية كما أشار الى ذلك أحد أقربائه، إذ يقول: إنه أرجع جماعة من أهل بيته في المسائل التي يحتاط بها إليه، وذلك عن طريق الرسالة العملية الموجود عنده، فضلاً عن ذلك فإن مكتبته العامرة وهي أثره الثاني فقد بيعت بعد وفاته بوساطة الشيخ أحمد الطرفي والشيخ حميد السماوي، حتى تصرف هذه الأموال على عائلته، ولا نعرف لعل في مكتبته تلك العديد من مخطوطاته من تقريرات لأساتذته وغيرها من المؤلفات أكلتها يد الحاجة والمعيشة...

وفاته

في أواخر أيامه لازمه المرض واشتد عليه كثيراً إذ أخذ منه مأخذاً بعد عناء في الدراسة والتدريس والحياة العامة التي كان يعيشها، وقد لازمه في المستشفى آخر أيام عمره السيد الشهيد الصدر والسيد محمد بحر العلوم (دام ظله) كما تحدث لي بذلك أحد أقربائه وهو الحاج حسن بن كاظم الرميثي وهو ابن أخ الشيخ مباشرة.

لذلك فقد توفي الشيخ في المستشفى يوم ١٥ شوال سنة ١٣٧٩هـ وشيع تشييعاً مهيباً ودفن بالصحن الشريف بحجرة رقم (٤٩).

وقد أرخ وفاته الشاعر السيد محمد الحسيني الحلي إذ قال:

أبكيت عين العلم حزناً وقد
قرّت بلقيا الله عيناكا
ما في الثرى مثواك بل أرخوا:
بالخلد يا عباس مثواكا

وقال في تاريخ آخر:

قد كان فقدك حادثاً جللاً
أبكى العلا والعلم والعملا
وجمت مدارسه وأذهلها
أن الردى قد جندل البطلا
صك الغري فهز جانبه
أسفاً لنجم منذ قد أفلا
ومصاب عباس مؤرخه:
(قد أفجع العلماء والفضلا)

فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً ■

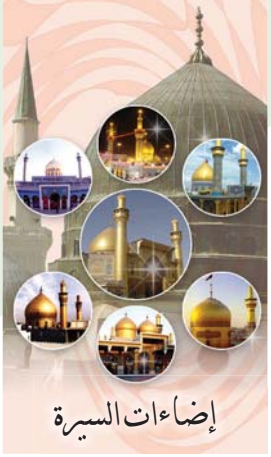

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في طريقه إلى صفين

حسن عبد الأمير الظالمي •
كاتب وباحث

ينابيع بويع الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بالخلافة يوم الثلاثاء ٢٤/ذي الحجة/٣٥هـ في المسجد النبوي الشريف[١] وقيل في نفس اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان ١٨/ذي الحجة/٣٥هـ[٢] وقام بأعباء الخلافة فأعفى ولاة عثمان على الأمصار الإسلامية من ولاياتهم ونصب بدلهم من هم جديرون بهذه المهمة وتحمل المسؤولية، وقد عيّن سهل بن حنيف والياً على الشام بعد إعفاء واليها معاوية بن أبي سفيان، لكن معاوية رفض التخلي عن ولايته وأرسل جنوده لمنع سهل بن حنيف من الوصول إلى الشام[٣].

ولما كانت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بيعة عامة من قبل المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد ـ كما يقال ـ ومن كان في المدينة من أهالي الأمصار الإسلامية بعد فتنة مقتل عثمان فهو إذن الخليفة الشرعي الذي تجب طاعته على كل المسلمين والخروج عليه خروج على ولي الأمر.

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل أستاذ التفسير وعلوم القرآن في الجامع الأزهر: كانت بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بيعة شرعية بميعاد زمانها وعصرها، فقد صدرت من أهل الحل والعقد في الأمة وهم المهاجرون والأنصار ثم أردف

مخطط تقريبي لتحرك جيش أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة إلى صفين

قائلاً: وأغلب الظن في نظري أن علياً عليه السلام كان يصلح للخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

فأرسل الإمام عليه السلام الرسائل إلى معاوية يدعوه إلى الطاعة والتخلي عن الشام والدخول في البيعة، وأرسل الكتاب بيد جرير بن عبد الله البجلي، فأرسل معاوية على عمرو بن العاص يستشيره ثم طلب من الإمام أن تكون الشام ومصر جباية له وليست في رقبته بيعة لأحد بعد علي فرفض أمير المؤمنين عليه السلام ذلك وطلب البيعة من معاوية وطلب من جرير أن يرجع.

ولما ألح الإمام عليه السلام على جرير بن عبد الله أن يأخذ من معاوية البيعة أو الحرب، قال معاوية: يا جرير ألحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب، ثم تهيأ معاوية للخروج إلى صفين وعبأ جيشه لمقاتلة الإمام[٥].

شرع الإمام عليه السلام بالاستعداد العسكري لإخضاع معاوية وفرض سيطرة الخلافة على بلاد الشام، فعبأ جيشاً لإرساله إلى الشام ودفع الراية إلى ولده محمد بن الحنفية، وولى عبد الله بن عباس على الميمنة وعمر بن أبي مسلمة على الميسرة ودعا أبا ليلى بن عامر بن الجراح فجعله على مقدمة الجيش، وخطب في أهل المدينة وحثهم على القتال[٦].

وما أن علم الإمام بتمرد عائشة وطلحة والزبير ووصولهم البصرة وأعلانهم الحرب عليه حتى عدل عن معالجة موقف معاوية وأتجه نحو البصرة.

وبعد انتهاء معركة الجمل في ٢٠/جمادى الآخرة/٣٦هـ[٧] وقيل في ١٥/جمادى الآخر/٣٦هـ[٨] تحرك الإمام من البصرة إلى الكوفة ووصلها في ١٢/ رجب/ ٣٦هـ واتخذها مقراً لحكمه لتوسعها بين الأمصار

الإسلامية[٩].

خروج الإمام إلى صفين

وبعد أن مكث في الكوفة ثمانين يوماً تهيأ الإمام للخروج إلى قتال معاوية، فخرج بجيشه من الكوفة يوم الأربعاء ٥/ شوال/٣٦هـ[١٠]، ثم عبر جسر الكوفة وصلى ركعتين في مسجد أبي سبرة[١١]، ثم وصل دير أبي موسى على فرسخين من الكوفة، قال نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين/١٣٤ والدينوري في الأخبار الطوال/١٦٧ أنه عليه السلام مرّ بالنخيلة قبل أن يصل دير أبي موسى.

وإذا علمنا أن معسكر الإمام في النخيلة الواقعة على المشارف الشمالية لمدينة الكوفة القديمة يقع بالقرب من مدينة الكفل الحالية حيث تقول الرواية: إنه مرت جنازة على علي عليه السلام وهو بالنخيلة فقال: ما يقول الناس في هذا القبر، فقال له أحدهم: هذا قبر هود النبي عليه السلام، فقال عليه السلام: هو يهود بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بكر يعقوب[١٢].

ويقول الشيخ محمد حرز الدين في مراقد المعارف: ١/ ٢٩٥: مسجد النخيلة قرب مرقد ذي الكفل في ناحية الكفل ملاصق لمرقده، وفي مسجد النخيلة محراب وهو الموضع الذي صلى فيه الإمام علي عليه السلام عند خروجه لحرب صفين، ويقول الحموي في معجم البلدان:٥/٢٧٨: النخيلة: موضع قرب الكوفة على طريق الشام، وهي الموضع الذي خرج إليه علي لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله فيها، وفي مسيره إلى حرب صفين.

ومن هنا نعلم أن دير أبي موسى بين الكفل والحلة، أي أن الإمام خرج من الكوفة ثم عبر النهر الحالي الذي يمر بمدينة الكفل ووصل النخيلة قرب مسجد ذي الكفل في الجانب الآخر للفرات ثم وصل مسجد أبي سبرة ودير أبي موسى.

يقول نصر بن مزاحم: كان علي قد سرّح وهو بالنخيلة زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هاني أمامه نحو معاوية في إثني عشر ألفاً وأخذ شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة ـ أي طريق النجف ـ كربلاء. حتى بلغوا عانات (عانة حالياً) فبلغهما أخذ علي طريق الجزيرة، وبلغهما أن معاوية أقبل بجنود الشام من دمشق لاستقبال علي فقالا: لا والله، ما هذا لنا برأي، أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر ـ ولعلهما يقصدان بحيرة الحبانية وهور أبي دبس أو منخفضات منطقة الجزيرة ـ فذهبا ليعبر الفرات من عانات فمنعهم أهلها فعبروا من هيت، ثم لحقوا علياً بقرية دون قرقيسياء (دير الزور حالياً) ثم أرسلهما إلى جند الشام وألحق بهما مالك الأشتر أميراً عليهما ريثما يصل هو إليهم[١٣].

ثم خرج الإمام عليه السلام حتى وصل برس على شاطئ الفرات فصلى بالناس المغرب[١٤].

وبرس منطقة تقع بين حمام أبي بردة وحمام عمر (وليس لهما أثر حالياً) إلا أن برس هي منطقة بورسبا الأثارية (وهي موضع بأرض بابل فيه آثار لبخت نصر وهو تل مفرط في العلو يسمى صرح البرس / الحموي ١/ ٣٨٤، وهو ما يشاهد حالياً على يسار الذاهب من الكفل إلى الحلة.

يقول ابن أعتم الكوفي: بعد أن سار الإمام وسار الناس معه فإذا هو بنخل من وراء النهر فاقتحم النهر وعبر إلى تلك الناحية وصلى الغداة فيها[١٥]. ويسمي المنقري هذه المنطقة المتشابكة الأشجار (قبة ـ قبين)، ولعل النهر الذي عبره الإمام

هو نهر الحلة الذي كان كبيراً قبل تفرغ نهر الهنديــة منه، والإمام عبــر نهر الكوفة عند خروجه منها الذي يقــع قرب الكفل، ولعل عبوره النهر كان جنوب مدينة الحلة الحالية ـ كما سنرى ـ .

يقــول ابن أعثم: ثم وصــل أرض بابل، وتقول الروايات أنه حرك فرســه ولم يصل بها لأنها أرض خســف بها[١٦]، ويقول نصر بن مزاحم: ويقــول الإمام لمخنف بن قيس ـ وكان يســايره ـ فــي بابــل: إن بابل أرض قد خســف بها فحــرك دابتــك لعلنا نصلي العصــر خارجاً منها، ثم حــرك دابته فلما جاز جسر الصراة نزل وصلى بالناس صلاة العصر[١٧].

ولما كانت آثار بابل في الجانب الأيسر لنهر الحلــة الحالي والإمام عبــر النهر من منطقة كثيفة الأشجار وسار مسافة ثم وصل الآثار ولم يصل بها وهو يســير في الجانب الأيســر من نهر الحلة، أما الصراة: فيقول الحموي: هو نهر يســتمد ماءه من الفرات، وقد بنى الحجاج الثقفي عنده مدينة النيل، وتســمى منطقة ســورا وتقع جنوب بغداد شمال شرق مدينة الحلة.

ويســتمر الإمام في مسيره في الطريق الرئيســي لجيــوش الإســلام المتجهة إلى الشــرق، يقول ابن أعثم وابــن مزاحم: ثم خــرج الإمام حتى أتى دير كعب فأقام باقي يومه وليلته[١٨] ولم أعثر على ما يشــير على موقــع هذا الديــر إلا أنه لابــد أن يقع في الطريق إلى المدائن قريب الصويرة حالياً.

ثم خرج الإمام فبات بساباط المدائن، والمدائن هي عاصمة الدولة الساسانية التي كانــت تحكم العــراق قبل الإســلام، يقول ابــن أعثم: إن الإمام أشــرف على ســاباط المدائن[١٩].

ويكمل نصر بــن مزاحم الرواية فيقول (إن الإمــام أصبــح بمظلــم ســاباط (أي بســاتينها) ثم أمر الحارث بن الأعور (الذي عينه قائداً لشــرطته) فصاح بأهل المدائن: من كان من المقاتلة فليوافِ أمير المؤمنين

صلاة العصر، ويقول أيضاً: وعندما كان الإمام في المدائن بعث منها معقل بن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف وقال له: خذ على الموصل ونصيبين ثم إلقني في الرقة)[٢٠].

لكن الدينوري يقول: إن علياً عقد لمعقل بن قيس في ثلاثة آلاف رجل وهو في الأنبار وأمره أن يسير على الموصل ونصيبين حتى يوافيه بالرقة فسار حتى وافى حديثه الموصل)[٢١].

هذه الطلائع بقيادة معقل بن قيس هي التي أوهمت الطبري بأن الإمام سلك طريق الموصل وهو قاصد إلى صفين فيقول (إن علياً إتجه من المدائن إلى الموصل ثم إلى نصيبين فالرقة)[٢٢] فطريق الإمام إلى صفين كان عبر الجزيرة محاذياً للفرات وليس على الموصل.

يواصل المنقري رحلة الإمام عليه السلام فيقول: ثم مضى أمير المؤمنين بجيشه من المدائن حتى نزل بأرض الجزيرة، وقد أتاه وفد بني تغلب فيها[٢٣]. ولكن الدينوري وابن أعثم الكوفي يقولان إنه عليه السلام نزل الأنبار)[٢٤]، وتقع الأنبار القديمة على الجانب الأيسر لنهر الفرات مقابل مدينة الرمادي الحالية، أما قبيلة تغلب فتسكن الجزيرة وهي المنطقة الشاسعة الممتدة إلى حدود الشام، فلا يبعد أن الإمام التقى وفدهم قبل أو بعد مروره بالأنبار.

وقد مرّ بنا أن مقدمة جيش الإمام بقيادة الحارث بن النضر وشريح بن هاني حينما رجعوا من هيت التقوا الإمام في قرية دون قرقيسياء (دير الزورحاليا) والتي تقع عند التقاء نهر الخابور بنهر الفرات في منطقة الجزيرة. ولا يزال الإمام يسير على الجانب الأيسر لنهر الفرات.

ولما كان الخابور يصب في الفرات عند ضفته اليسرى فقد احتاج الإمام أن يعبر النهر ليواصل مسيره فيعبر الخابور ويستمر في طريقه أو يعبر الفرات إلى الجانب الأيمن وهو ما سنرى.

من منطقة قرقيسياء (دير الزور) يختلف المؤرخون في الطريق الذي سلكه الإمام:

أ ـ يقول الدينوري في الأخبار الطوال/٧ ١٦: إنه نزل على البليخ (أي المدينة) فأقام ثلاثاً، ثم أمر بجسر فعقده وعبر الناس، وقطع الفرات، ثم وصل صفين، وهي قرية خراب من بناء الروم منها إلى الفرات غلوة (أي رمية سهم)[٢٥].

ب ـ ويقول ابن أعثم: ثم سار الإمام حتى نزل هيت ورحل منها ونزل بموضع يقال له: الأقطار، فبنى هناك مسجداً ثم عبر الفرات وشقّ البلاد حتى خرج إلى بلاد الجزيرة، ثم سار يريد الرقة، ثم نزل البليغ، ثم سار علي حتى عقدوا له جسراً فعبر الفرات[٢٦].

وهيت مدينة ليست بعيدة عن الأنبار وهو نفس الطريق الذي سلكته طلائع جيش الإمام عليه السلام ولعل ابن أعثم كان يريد هذا الجيش الذي التحق بالإمام في قرقيسياء بعد أن عبر الفرات عند هيت وقطع الجزيرة.

ج ـ يقول نصر بن مزاحم: ثم سار أمير المؤمنين (من قرقيسياء) حتى أتى الرقة وكان أهلها عثمانيين، ويقال إن نزوله بالرقة بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات، ثم يفصل سير الإمام فيقول: ثم أن علياً قال لأهل الرقة أجسروا لي جسراً (أي أنه لا يزال يسير على الجانب الأيسر من الفرات) لكي أعبر من هذا المكان إلى الشام، فأتوا، فمضى من عندهم ليعبر على جسر منبج التي (تقع قرب الفرات) وخلف

مالك الأشتر الذي هددهم فبعثوا إليه: إنا ناصبون لكم جسراً فأقبلوا، فأرسل مالك إلى علي عليه السلام فجاء ونصب له الجسر فعبر عليه الجيش[٢٧].

وهناك رواية عن حبّة العرفي الذي صاحب الإمام في سيره إلى صفين تفيد بمرور الإمام بمنطقة البليخ وكان فيها دير لراهب يقال له شمعون، أخبر الإمام علياً بأن عنده كتاب فيه ذكر النبي صلى الله عليه وآله ووصية علي بن أبي طالب فكلّمه الإمام عليه السلام حتى أسلم وصحبه إلى صفين وبعد انتهاء الحرب افتقده الإمام فوجده بين القتلى فصلى عليه ودفن[٢٨]، ولما عبر الإمام الفرات عند مدينة الرقة إلى الجانب الغربي منها، وفي سهل فسيح وجد أن معاوية قد سبقه إلى سهل صفين وهو في الضفة الغربية لنهر الفرات فعسكر الإمام مقابل جيش معاوية[٢٩].

وهنا يمكننا أن نستفيد من مجمل هذه الروايات أن الإمام عليه السلام غادر مدينة قرقيسياء (دير الزور) التي تقع عند التقاء نهر الخابور بنهر الفرات واستمر في الجانب الأيسر لنهر الفرات حتى وصل نهر البليخ، ونهر البليخ يصب في الفرات من جانبه الأيسر عند منطقة الرقة أي قريباً من مدينة الرقة، فأراد الإمام أن يعبر النهر إلى جانبه الأيمن ليلاقي جيش معاوية المعسكر في الجانب الأيمن من النهر فرفض أهل الرقة أن يجسروا له ثم أذعنوا بعد أن هددهم مالك الأشتر وجاز الجيش كله على الجسر وجاز الخليفة آخرهم[٣٠] وبهذا تكون البليخ والرقة منطقة واحدة.

وهنا يمكن أن نصف سهل صفين الذي وقعت عنده المعركة فهو يقع قرب مدينة الرقة بفرسخين حيث يترك النهر منطقة أحراش وأشجار ومناطق مغطاة بالماء عسكر على حافاتها جيش معاوية واستقبل السهل بوجهه وأما جيش الإمام فقد استقبل جيش الشام تاركا الصحراء خلفه، وهنا فقد أمسك جيش معاوية بالمنطقة وسيطر

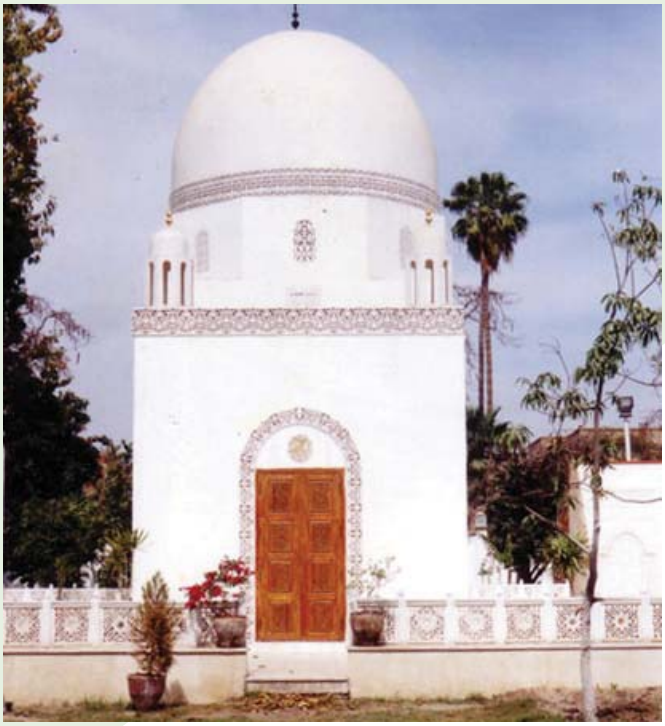

مرقد مالك الأشتر صاحب أمير المؤمنين علي عليه السلام في مصر

على المنافذ التي تؤدي إلى الاستسقاء من الفرات ومنع الماء عن جيش علي عليه السلام، فطلب الإمام من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء فأبى معاوية وجيشه ذلك، وأضرّ الضمأ بجيش الإمام فازداد الضغط على الإمام لكسر الحصار وإلا ماتوا عطشاً، فأذن الإمام لهم بالهجوم على شاطئ الفرات، وتم إزاحة جيش معاوية عن ضفة النهر، ولكن الإمام لم يقابله بالمثل بل سمح لجيش معاوية بأخذ الماء من النهر دون معارضة[٣١].

ولابد من الإشارة هنا إلى قضية مهمة تتعلق بهذه النقطة، وهي تشكيك بعض الكتاب في منع معاوية جيش علي من الماء ويقولون: كيف يمنع هنا الصحابي الجليل الماء عن جيش علي ويتركه ليموت عطشا وفيهم المهاجرون والانصار، وإنما قالوا: إن معاوية كان منعه للماء منعاً صورياً، وأنه قال لأبي الأعور السلمي قائد جيشه: خلِّ بين إخواننا وبين الماء[٣٢].

ونحن هنا ننقل ما قاله ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: ٣/ ١٤٥ ما نصه: (وكان معاوية قد سبق عليا فنزل منزلاً اختاره لجيشه بسيطا واسعاً، وأخذ شريعة الفرات وليس هناك شريعة غيرها، وجعلها في حيزه، وبعث عليها الأعور السلمي ليحميها ويمنعها، فطلب أصحاب علي شريعة غيرها فلم يجدوا، فأتوا علياً فأخبروه بفعلهم وعطش الناس، فدعا صعصعة بن صوحان فأرسله إلى معاوية يقول له بعد كلام طويل: وهذه أخرى قد فعلتموها، منعتم الماء عن الناس، والناس غير منتهين، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء، فقال معاوية: سيأتيكم رأيي، وسرّب الخيل إلى ابي الأعور ليمنعهم الماء، فقاتلوا، ثم صار الماء بيد أصحاب علي فقالوا: والله لا نسقين أهل الشام، فأرسل علي إلى أصحابه: أن خذوا من الماء حاجتكم وخلّوا عنهم، فأن الله نصركم ببغيهم وظلمهم.

كانت معركة كشف جيش معاوية عن الماء أولى المعارك وبداية حرب صفين التي وقعت في ذي الحجة/٣٦هـ وما أن حل المحرم من عام ٣٧هـ حتى سادت هُدنة بين الجيشين احتراماً لشهر محرم الحرام، بعث خلالها الإمام عليه السلام مندوبين عنه إلى معاوية وهم: بشير بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي وقال لهم: ائتوا الرجل ـ أي معاوية ـ وأدعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، فما كان جواب معاوية إلا السيف والحرب، وطالت المفاوضات، فقال معاوية للمندوبين، انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف[٣٣].

والتحم الجيشان يوم الأربعاء الأول من صفر/٣٧، وكانت الحرب سجالاً حتى ليلة٩/صفر حيث قتل الصحابيان: عمار بن ياسر وأويس القرني، وكانت ليلة الهرير ١٢/ صفر/٣٧هـ ثم انتهت الحرب في صبيحتها يوم ١٣/صفر برفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم، وفي يوم الأربعاء ١٥/صفر/او يوم ١٧/صفر كتبت صحيفة المهادنة بين علي عليه السلام ومعاوية على أن يجتمع مندوبا الطرفين في دومة الجندل/في شهر رمضان، وبذلك اعتبرت حرب صفين منتهية.

رجوع الإمام إلى الكوفة

يقول الطبري في تاريخه: عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب: لما انصرفنا من صفين أخذنا غير الطريق الذي ذهبنا فيه، أخذنا على طريق البر على شاطئ

الفرات[٣٤]. وكان هذا السير ولاشك بأمر منه عليه السلام يقول نصر بن مزاحم: فلما رجعنا من صفين قال علي: خذوا بنا على طريق البر على شاطئ الفرات[٣٥].

وتقول بعض المصادر: ثم وصل الإمام بجيشه إلى هيت، وهي بلدة بين العراق والشام فبات فيها[٣٦].

ثم سار أمير المؤمنين عليه السلام بجيشه حتى وصل كربلاء من جهتها الغربية، وتوجد الآن عين ماء عميقة الغور بالقرب من بحيرة الرزازة تنسب إلى الإمام علي عليه السلام يقول ابن اعثم: ثم نظر علي إلى شاطئ الفرات وأبصر هناك نخلاً فقال: يا ابن عباس: أتعرف هذا الموضع؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: أما وأنك لو عرفته كمعرفتي لم تكن تتجاوزه حتى تبكي كبكائي، قال: ثم بكى الإمام بكاءً شديداً وجعل يقول: أوّاه، مالي ولآل أبي سفيان، ثم التفت إلى الحسين عليه السلام فقال: أصبر يا أبا عبد الله فلقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى من بعدي[٣٧].

يقول المتقي الهندي: وروي أنه عليه السلام حينما أتى كربلاء قال: يقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر[٣٨].

ويتابع الإمام عليه السلام طريقه من كربلاء: يقول الطبري: ثم خرج بنا ـ والقول لأبي مخنف ـ الإمام حتى جزنا النخيلة فرأينا بيوت الكوفة، وقد مرّ الإمام على دروب بني عوف فيها[٣٩].

وهذا مجمل طريقه عليه السلام من الكوفة إلى صفين ثم عودته إلى الكوفة في شهر ربيع أول/٣٧هـ ■

١ـ البداية والنهاية/ ابن كثير الدمشقي/ ٢٥٣/٧.
٢ـ بحار الأنوار/ المجلسي/١٨٩/٩٥.
٣ـ البداية والنهاية/ ٢٧٧/٧.
٤ـ فقيد الأمة وفقيه الأئمة/ ٢٦٤.
٥ـ وقعة صفين/ نصر بن مزاحم/ ٥٢ـ٥٦.
٦ـ تاريخ الرسل والملوك/الطبري/ ٢٣٩/٥.
٧ـ التنبيه والاشراف/ أبو الحسن المسعودي/٢٥٥.
٨ـ الكامل في التاريخ/ابن الاثير:٢٣٦/٣.
٩ـ تاريخ الطبري/٥٤٥/٣.
١٠ـ مروج الذهب/ المسعودي/٣٨٤/٢.
١١ـ الفتوح/ ابن أعثم/٤٦١/٢.
١٢ـ وقعة صفين/ محمود عباس العاملي/ ١٠٢.
١٣ـ وقعة صفين/ نصر بن مزاحم/ ١٣٤.
١٤ـ الفتوح/ ابن اعثم الكوفي/ ٢/ ٤٦١.
١٥ـ ن. م/ ٢/ ٤٦٢.
١٦ـ ن.م /٢ /٤٦٢.
١٧ـ وقعة صفين/ نصر بن مزاحم/ ١٣٥.
١٨ـ ن.م/ ١٤٣.
١٩ـ الفتوح/ ابن اعثم/ ٢/ ٤٦٤.
٢٠ـ وقعة صفين/ ١٤٣.
٢١ـ الاخبار الطوال/ ١٦٧.
٢٢ـ تاريخ الرسل والملوك/ ٥/ ٢٩٦.
٢٣ـ وقعة صفين/ ١٤٦.
٢٤ـ الأخبار الطوال/ ١٦٧ ـ الفتوح / ابن اعثم/ ٢/ ٤٦٤.
٢٥ـ الأخبار الطوال/ الدنيوري/ ١٦٧.
٢٦ـ الفتوح/ ابن اعثم/ ٢/ ٤٨٨.
٢٧ـ وقعة صفين/ ١٤٦.
٢٨ـ مناقب أمير المؤمنين/ محمد بن سليمان / ١/ ١٤٤، وقعة صفين/ محمود عباس العاملي/ ١٠٢.
٢٩ـ وقعة صفين/ نصر بن مزاحم/ ١٤٧.
٣٠ـ وقعة صفين/ نصر بن مزاحم/ ١٤٦.
٣١ـ الكامل في التاريخ/ ابن الاثير/ ٣/ ١٤٥.
٣٢ـ سيرة أعلام النبلاء/ ابن سيرين/ ٢/ ٤١.
٣٣ـ تاريخ الطبري/ ٣/ ٥٦٩.
٣٤ـ ن. م: ٦٠/٥.
٣٥ـ وقعة صفين/ ابن مزاحم/ ٥٢٨.
٣٦ـ الفتوح/ ابن اعثم/ ٢/ ٤٦٥.
٣٧ـ الفتوح/ ابن اعثم/ ٢/ ٤٦٢.
٣٨ـ كنز العمال/ المتقي الهندي/ ٧/ ١٠٦.
٣٩ـ وقعة صفين/ نصر بن مزاحم/ ٥٢٨.

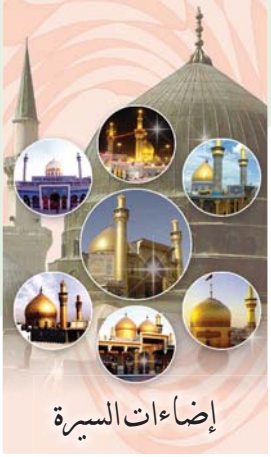

توجيه الأئمة عليهم السلام أصحابهم للفتيا

السيد أسعد القاضي •

ينابيع

اعتاد شيعة أهل البيت عليهم السلام أن يأخذوا أحكام دينهم من الإمام عليه السلام مباشرة، إما عن طريق اللقاء به وسؤاله وسماع الجواب منه، أو إرسال شخص يسأل السؤال المطلوب ويرجع بالجواب، أو كتابة السؤال وإرساله إليه عليه السلام، واستلام الجواب بخطه الشريف، أو موقّعاً بتوقيعه، أو فيه ما يدل على أن الجواب صادر منه عليه السلام.

فبهذه الطرق ـ والتي نتيجتها أخذ الحكم من الإمام مباشرة ـ وأمثالها يتعرف الشيعة على أحكام دينهم، والتي هي أهم ما يحتاجونه في حياتهم، ذلك لأنهم يتعلّمون ليعملوا بما أمرهم الله به.

فلم تكن الشيعة لتتعدى سؤال الأئمة إلى سؤال غيرهم، بل ربّما لم يكن سؤال غير الإمام مطروحاً آنذاك، لما هو المعلوم من أهمية الحكم الشرعي أهمية بالغة، ما يلزم معه عدم التفريط به في أخذه من غير المعصوم، نظراً لما جُبل عليه الإنسان من الاشتباه والنسيان، وإن كان ثقة مأموناً في حد نفسه.

فهم يأخذون الأحكام من الإمام عليه السلام مباشرة، لأنهم أحد مصادر التشريع،

مرقد الحسين بن روح في بغداد، النائب الثالث للإمام المهدي المنتظر عليه السلام

وهم حجج الله على خلقه، والمدار في نيل الثواب والعقاب، وهم المعصومون المنصوبون من قبل الله تبارك وتعالى لهذا الأمر، حيث قال: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[1].

وأحب التذكير هنا ـ قارئي الكريم ـ بأمر لا يخلو من فائدة، وهو أنه في الوقت الذي يلزم على الناس أن يسألوا الأئمة ويتعلموا، كي يعملوا بعلمهم، حتى ورد في تفسير قوله تعالى: (فلله الحجة البالغة)[2] أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصم، فتلك الحجة البالغة[3].

في الوقت ذاته ليس على الأئمة عليهم السلام الإجابة على جميع الأسئلة التي توجّه إليهم، بل لهم حرية اختيار ما يجيبون عليه وما لا يجيبون، إذ هم أعرف بالمصالح والمفاسد المترتبة على الجواب، وأعرف بمدى قابلية السائل لتحمله، فعن الوشاء قال: (سألت الرضا عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)؟ فقال: نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون. قلت: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم. قلت: حقاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم. قلت: حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل)[4].

فإشاءتهم عليهم السلام في الإجابة على أسئلة

السائلين واستفساراتهم لم تكن أمراً كيفيّاً محضاً، فهم عليهم السلام أعلى شأناً من ذلك، وإنما هي خاضعة لوجود المصالح وعدمها.

وأعود لأقول..

لم تزل الشيعة على هذا المنوال، من مراجعتهم لخصوص أئمتهم عليهم السلام، حتى بدؤوا عليهم السلام يأمرون من يجدون فيه الكفاءة بأن يفتي الناس في المسجد، ويعلمونهم أحكام دينهم، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأبان بن تغلب: (اجلس في مسجد المدينة، وأفتِ الناس، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك، فجلس)[٥].

وليكن معلوماً أن قوله عليه السلام: (أفتِ الناس) ليس المراد منه نقل نص كلام الإمام عليه السلام للناس في المسجد، وإنما المراد منه نقل ما يفهمه ويستنبطه من كلامه عليه السلام، خصوصاً إذا عرفنا أن الإفتاء في اللغة هو الإبانة.

ولم يقتصروا عليهم السلام على الأمر بإفتاء الناس في المسجد، بل كانوا يرشدون أصحابهم ومواليهم ـ خصوصاً من لا يستطيع الوصول للإمام عليه السلام ـ إلى سؤال غيرهم، من ذوي الكفاءة والأمانة، مع تحديد للشخص الذي يُسأل.

ففي صحيح عبد الله بن أبي يعفور: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كل ساعة ألقاك، ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه، فقال: ما يمنعك عن محمد بن مسلم الثقفي، فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيهاً)[٦].

فلم يعلق الإمام الصادق عليه السلام على قول السائل: (ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه)، ولم ينكر عليه إجابته السائل على سؤاله، ولم ينهه عن تعليمه الحكم الشرعي، فلو كانت الإجابة من مختصات الأئمة عليهم السلام لنهاه الإمام عن إجاباته للسائلين.

بالإضافة إلى أنه عليه السلام أرشده إلى سؤال محمد بن مسلم، معللاً بأنه قد عاصر الإمام الباقر عليه السلام وسمع حديثه، وكان وجيهاً عنده، فهو يمتاز بسعة اطلاعه على الأحكام الشرعية، مضافاً إلى ما يتمتع به من أمانة عالية.

وفي صحيح شعيب العقرقوفي: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال: عليك بالأسدي. يعني أبا بصير)[٧].

وعن عبد العزيز بن المهتدي والحسن بن علي بن يقطين جميعاً، عن الرضا عليه السلام قال: (قلت: لا أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم ديني، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال: نعم)[٨].

وعن علي بن المسيب الهمداني قال: قلت للرضا عليه السلام: (شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا. قال علي بن المسيب: فلما انصرفت قدمنا على زكريا بن آدم، فسألته عما احتجت إليه)[٩].

فبعد أن كان المكلف إذا احتاج إلى السؤال عن حكم شرعي ليس له إلا سؤال الإمام عليه السلام لانحصار الأمر به، أصبح بإمكانه أخذ الحكم الشرعي من جماعة من الثقات، ممن حمل فقه أهل البيت عليهم السلام، وروى حديثهم.

وغير خاف أن مشروعية رجوع المكلفين إلى غير الإمام وأخذ الحكم

الشــرعي منه لــم تكن مختصــة بحالة ما إذا لــم يمكن الرجوع للإمام(عليه السلام)، بل حتى مع إمــكان الوصول للإمــام وأخذ الحكم الشــرعي منه يمكن الرجــوع إلى غيره، فكمــا أن الإمــام(عليه السلام) حجــة لله تعالى في أرضه، بمعنى أنه سبحانه يحتج على عباده به يــوم القيامة، ولا يبقى عــذر لمعتذر، كذلك مــن ينصبه الإمــام(عليه السلام) للفتوى هو حجة لله تعالى في أرضــه، وعليه فتتعدد الحجــج بتعدد الأشــخاص الذين ينصبهم الإمام(عليه السلام) للفتوى.

أما عن الأسباب التي دعت إلى إرجاع الأئمة(عليهم السلام) شــيعتهم إلى أشــخاص حملوا أحاديثهم، وعرفوا حلالهم من حرامهم، فهناك مجموعة من الأسباب لعل أهمها..

هو أنه لما كان في سابق علم الأئمة(عليهم السلام) أن فترة تمكّن الشيعة من الالتقاء بهم وأخذ الأحكام منهم مباشرة محدودة جداً، نظراً لما ســتُمتحن به الأمة من احتجاب الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) عن شيعته وعن الناس، وعليه فســوف تمرّ على الشــيعة أدوار ـ يطــول أمدهــا ـ يفقــدون فيها ما كانــوا يألفونه من أخــذ الحكم من الإمام مباشــرة، مما قد تُســبّب غيبة الإمام(عليه السلام) صدمة عند شــيعته، لفقدهــم الجهة التي كانوا يأخذون منها أحكامهم الشرعية، ما لم تكن هناك عملية ترويض تدريجي يقوم بها الأئمــة(عليهم السلام) تتمثل في خلــق مناخات مناسبة وأجواء تسهم في تمكن الشيعة من الاستقلالية بأنفسهم والاكتفاء الذاتي.

مرقد أبي الصلت الهروي في مشهد، خادم الإمام الرضا(عليه السلام)

فكان إرجاع الأئمة عليهم السلام شيعتهم إلى أعيان أصحابهم عملاً تربوياً هادفاً، اعتاد الشيعة ـ من خلاله ـ على الرجوع إلى غير الإمام، وأخذ الحكم الشرعي منه.

واستمر الشيعة على هذا النحو إلى حين الغيبة الصغرى، فكانوا ربما يكتبون إلى الإمام المنتظر عليه السلام عن طريق أحد نوابه الأربعة، أو يكتفون بسؤال أحد الأعيان ممن أرشد إليه المعصوم عليه السلام.

حتى إذا أشرفت الغيبة الصغرى على الانتهاء، ليجيء من أمر الله تعالى ما أراده لخلقه، من غيبة الإمام عليه السلام غيبة يطول أمدها، وأصبح لزاماً على الناس ـ حينئذٍ ـ أن يستقلوا بأنفسهم، ويأخذ بعضهم الحكم الشرعي من بعض، ذلك لأنه لا يمكن ـ وبأي شكل من الأشكال ـ الاتصال بالإمام عليه السلام، ومن الواضح أن إرجاعات الأئمة عليهم السلام الصادرة بحق أشخاص بخصوصهم إنما تدل على كفاءة الشخص بنفسه، ولا تنفع على طول الفترة، فهي لا تعطي ضابطة بالمؤهلات لهذه المهمة، حتى يمكن تطبيق تلك الضابطة على الأشخاص، لتمييز من توفرت فيه المؤهلات من غيره.

في هذا الظرف خرج التوقيع الشريف من الإمام المنتظر عليه السلام يقول فيه: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله)[10]، وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام أشار إلى هذا المعنى بقوله:

قبر زكريا بن آدم القمي في قم، من أصحاب الصادق والرضا والجواد عليهم السلام

(فأمـا من كان من الفقهاء صائناً لنفسـه، حافظاً لدينه، مخالفـاً على هواه، مطيعاً لأمـر مـولاه، فللعـوام أن يقلـدوه)[11].

فأصبح هذان الحديثان وأمثالهما بمثابة القاعدة، التي يُعرف من خلالها من تتوفر فيه مؤهـلات الفتيا، والـذي يكون حجة لله علـى خلقه مجعولاً من قبل الإمام عليه السلام.

هذا وقد تحصل من جميع ما تقدم أن الإرجاعات الصـادرة من الأئمة عليهم السلام على نوعين..

أحدهمـا: إرجاعـات لخصـوص أشـخاص بأعيانهمـا، كالـذي حصل من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وغيرهما.

الثاني: إرجاعات لا لشـخص معين، بل لعموم من تنطبق عليه القاعدة وتتوفر فيه الصفات.

وعلـى هذا فكمـا أن الشـخص الذي يُرجع إليه الإمام عليه السلام بخصوصه والذي هو من النوع الأول يكـون حجة ومجعولاً من قبـل الإمام عليه السلام، كذلك الـذي تنطبق عليه القاعدة والـذي هو من النوع الثاني يكون حجة أيضاً ومجعولاً من قبل الإمام عليه السلام.

ولا يخفـى أن العلماء فـي زمان الغيبة الكبرى الذين تنطبق عليهم القاعدة وتتوفر فيهـم الصفـات التي ذكرهـا الأئمة عليهم السلام هـم من النوع الثانـي، فهم مجعولون من قِبل الإمام عليه السلام، وبالتالي فهم الحجج على العباد، ويلـزم الأخذ بفتواهـم، والعمل عليهـا، كذلـك لا يجـوز الترافـع عنـد المخاصمة إلا إليهـم، وعند قضائه بأمر يحرم الـرد عليـه، ففي روايـة عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سـئل عن رجلين قد تنازعا في دين أو ميراث هل لهما أن يتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة؟ أما ماذا يصنعان؟: (قال: ينظران إلى من كان منكم قد روى حديثنـا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعـرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما اسـتخف بحكم الله، وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله، وهو على حد الشرك بالله)[12].

بعد كل ما تقدم نقول..

لـم يكـن هـذا الموضوع بمـا فيه من اسـتدلالات إلا محاولة للتعريـف بكيفية نشـوء المرجعية الدينيـة، وبأهميتها في زمـان الغيبة، وأنها الحجة الشـرعية التي يجب اتباعها. وإلا فللحديث عن اعتبار سند الروايات المتقدمـة ودلالتها مجال آخر، أفاض فيه الفقهاء الكلام في موضعه.

ولعل أقـوى مـا يمكن الاسـتناد إليه فـي ما نحـن بصدده هو سـيرة العقلاء، من رجـوع الجاهل إلـى العالم في علمه، وعدم اسـتقلالهم فيما يجهلونه، بل عند تعدد العلماء في مجال من المجالات نرى العقلاء يحاولـون اختيار الأكثر تمكناً من العلـم، فالمريض يرجـع إلى الطبيب في معرفة العلاج، بـل يختار الأكثر فهماً من الأطباء والأقدر على المعالجة ■

---

(١) سورة النحل: ٤٣.
(٢) سورة الأنعام: ١٤٩.
(٣) أمالي ابن الشيخ الطوسي:٩.
(٤) الكافي للكليني ج١ص٢١٠.
(٥) رجال النجاشي ص١٠.
(٦) وسائل الشيعة ج١٨ ص١٠٥.
(٧) وسائل الشيعة ج١٨ ص١٠٣.
(٨) وسائل الشيعة ج١٨ ص١٠٧.
(٩) وسائل الشيعة ج١٨ ص١٠٦.
(١٠) الاحتجاج ج٢ ص ٢٨٣.
(١١) الاحتجاج ج٢ ص٢٦٣.
(١٢) الكافي ج١ ص٦٧.

فهارس مجلة ينابيع

فهارس الأعداد
(٢٦) إلى (٣٠)
مرتبة حسب أبواب المجلة

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
قرآنيات			
أسباب النزول والمعنى التفسيري	أ. م. د. مشكور العوادي	٢٦	٣٤
لمحات علمية في التعبير القرآني	د. سيروان عبد الزهرة الجنابي	٢٦	٤٠
الفاصلة القرآنية.. طبيعتها الإيقاعية	د. زهير غازي زاهد	٢٧	١٠
دلالة لفظة (ضيزى) في القرآن الكريم	هاشم جعفر الموسوي	٢٧	١٨
الكلمة القرآنية وخصوصية استعمالها	د. زهير غازي زاهد	٢٩-٣٠	١٢
تفسير الرسول ﷺ للنص القرآني	د. سيروان عبد الزهرة الجنابي	٢٩-٣٠	٢٠
ابن معصوم ومنهجه في كشف الدلالة القرآنية	عادل عباس النصراوي	٢٩-٣٠	٢٦

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
آمن الرسول			
مفهوم الغلو في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله	د. محمد جواد فخر الدين	٢٧	٢٤
تخريج حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»	علي الفحام	٢٧	٣٠
المظاهر المبكرة للشيعة الإمامية للتصدي لأفكار المفوضة	د. محمد جواد فخر الدين	٢٩-٣٠	٣٠
حديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»	علي عبد الزهرة الفحام	٢٩-٣٠	٣٧
اضاءات السيرة			
منزلة حديث المنزلة	د. حسين سامي شير علي	٢٦ ملف	٦
قبسات من الملحمة الحسينية/ الحلقة ١	مؤسسة تراث الشهيد الحكيم	٢٦	٧٠
مفاهيم في فكر أهل البيت عليهم السلام: (الزهد)	الحاج فلاح العلي	٢٧	٦٨
قبسات من الملحمة الحسينية/ الحلقة ٢	مؤسسة تراث الشهيد الحكيم	٢٧	٧٢
نشأة التدوين في مقتل الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن كريم الربيعي	٢٨ خاص	٨
العوامل النفسية وأثرها في النهضة الحسينية	ثائر عباس النصراوي	٢٨ خاص	٢٦
أحب الله من أحب حسيناً	وجدان الغانمي	٢٨ خاص	٩٠
مفاهيم في فكر أهل البيت عليهم السلام: (حسن الجوار)	الحاج فلاح العلي	٢٩-٣٠	٨٦
استطلاع المجلة			
مرقد الحمزة الغربي.. أبي يعلى	حيدر الجد	٢٦	٥٠
مسجد البصرة الكبير	محمد الدراجي	٢٧	٣٦
طريق مكة ـ كربلاء.. مسار صنع التاريخ	محمد عبد الغني السعيدي	٢٨ خاص	٣٠

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
الثائر يحيى بن عمر العلوي.. شهيد شاهي	حيدر الجد	٢٩-٣٠	٤٤
في رحاب الفقه			
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مد ظله)		٢٦	٦٦
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مد ظله)		٢٧	٥٢
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مد ظله)		٢٨ خاص	٤٨
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مد ظله)		٢٩-٣٠	٥٨
واحة الأدب			
قصيدة في ذكرى الشهادة	إبراهيم الكعبي	٢٦ ملف	٤
مع السيد مهدي الطالقاني في ذكرى الإمام علي عليه السلام	د. حسن الخاقاني	٢٦ ملف	٢٤
قصة قصيرة: المدير الجديد	بنت العراق	٢٧	٥٦
قصيدة: أسيادي	ضرغام البرقعاوي	٢٧	٢٢
وقفة نقدية مع قصيدة الشيخ حمادي الكواز	د. حسن الخاقاني	٢٨ خاص	١٣
قصيدة: حديث الطفوف	عبد الأمير جمال الدين	٢٨ خاص	٢٢
قصيدة: في رثاء الإمام الحسين عليه السلام	السيد حيدر الحلي	٢٨ خاص	٥٤
قصيدة: زحفاً للحسين عليه السلام	إبراهيم الكعبي	٢٨ خاص	٧٦
أحاديث أبي الفضل العباس عليه السلام.. دراسة لغوية	د. عبد الإله العرداوي	٢٨ خاص	٩٤
ذخائر المآل في مدح المصطفى والآل.. دراسة نقدية	خليل إبراهيم المشايخي	٢٨ خاص	١٠٤

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
الأدلة القرآنية في الشعر الحسيني	نضير الخزرجي	٢٩-٣٠	٦٢
قصيدة: في رحاب الإمام الصادق عليه السلام	د. محمد حسين الصغير	٢٩-٣٠	٦٦
قصة قصيرة: بلا أم	بنت العراق	٢٩-٣٠	٦٨
للفضيلة نجومها			
الشيخ محسن أبو الحب	سلمان هادي آل طعمة	٢٦	٧٨
الشيخ أحمد رضا النباطي العاملي	م. م. مجيد حميد الحدراوي	٢٦	٨٥
الشيخ جعفر النقدي...محاور مضيئة من السيرة العطرة	حيدر الجد	٢٧	٥٨
من علماء جبل عامل.. السيد حسن يوسف مكي	م. م. مجيد حميد الحدراوي	٢٧	٦٤
عبد الله بن عفيف الاسدي	علي عبد الزهرة الفحام	٢٨ خاص	٦٠
الخطيب الشيخ عبود النويني	حسين جهاد الحساني	٢٨ خاص	٨٠
العلامة الحلي نابغة زمانه وشيخ عصره	د. حسين سامي شير علي	٢٩-٣٠	٧٠
في النفس والمجتمع			
الأمل في خط المسؤولية	الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي	٢٦	٩٠
العوامل المتحكمة في بناء الشخصية	أحمد حسين الزاملي	٢٧	٨٦
تحقيقات			
أعلام من كربلاء.. السيد إبراهيم المجاب	سلمان هادي آل طعمة	٢٧	٧٨
مقام نخلة مريم عليها السلام	سلمان هادي آل طعمة	٢٨ خاص	٥٦

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
طروحات عامة			
تطبيقات السياسة المالية والإدارية لأمير المؤمنين عليه السلام	الشيخ حسن كريم الربيعي	٢٦ ملف	١٠
قراءة في كتاب بهجة الخاطر ونزهة الناظر	سعدون عبد الكاظم جاسم	٢٦	١٠٦
الاستثمار والتنمية البشرية	علي الفضل	٢٦	١١٤
مجتمع الشبك.. روابط دينية وعلاقة أخوية	السيد حسين طاهر الحيدري	٢٦	١٢٠
العمود في العمارة الإسلامية	د. علي ثويني	٢٧	٩٦
أزمة الاقتصاد الأمريكي	علي الفضل	٢٧	١٠٧
علم التاريخ وأهميته في الحياة	الشيخ حسن كريم الربيعي	٢٧	١١٤
بين الدين والسياسة	محمد دعيبل	٢٧	١٢٠
النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية	د. حيدر نزار السيد سلمان	٢٧	١٢٣
نظرة في تجديد الخطاب الحسيني	حيدر كريم الجمالي	٢٨ خاص	٥١
الارتقاء إلى المنبر الحسيني	هاشم حسين ناصر المحنك	٢٨ خاص	٨٤
الأديب الإسلامي وإشكالية الانتماء	د. علي المؤمن	٢٩-٣٠	٩٦
المكتبات العامة بين الواقع وآفاق المستقبل	أحمد النجفي	٢٩-٣٠	١٠٢
تضخم غدة البروستات عند الرجال	د. منتظر الخرسان	٢٩-٣٠	١٠٥
طائفة العلويين.. نظرة تاريخية	حيدر المالكي	٢٩-٣٠	١٠٨
الإنسان مقيد بالزمان والمكان	د. عبد الأمير المؤمن	٢٩-٣٠	١١٤
التواضع في العمارة العربية الإسلامية	د. عبد الله سعدون المعموري م. محاسن هادي خلف	٢٩-٣٠	١٣٨

المقالة	الكاتب	العدد	الصفحة
قراءات			
قراءة في كتاب.. علي عليه السلام ومعاوية	د. حيدر نزار السيد سلمان	٢٩-٣٠	١٥٢
مقالات متفرقة			
صفين.. معركة الحق والمكر	زهرة النجف	٢٦ ملف	١٩
من فلسفة الصوم	محمد دعيبل	٢٦	٩٤
أصحاب الحسين عليه السلام أفضل الشهداء	الشيخ وضاح الضالمي	٢٨ خاص	٦٨
فضولي.. شاعراً	سلمان هادي آل طعمة	٢٩-٣٠	٧٥
الصحف والمجلات الصادرة في النجف الأشرف	الشيخ حميد البغدادي	٢٩-٣٠	١١٨
محمد العربي التونسي	من كتاب (المتحولون)	٢٩-٣٠	١٤٦

عجز الموازنة العامة

المبررات والمعالجات

أ. د. رضا صاحب أبو حمد •
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

ينابيع

قبل التطرق إلى عجز الموازنة العامة لابد من تعريف الموازنة العامة، فهي خطة تتضمن تقدير نفقات الدولة وإيراداتها العامة خلال فترة قادمة غالباً ما تكون سنة ويتم هذا التقدير في ضوء الأهداف التي تسعى إليها السلطة السياسية.

أما عجز الموازنة العامة فهو تجاوز النفقات العامة الإيرادات العامة خلال مدة معينة، سنة غالباً، أو هو الوضع الذي تكون فيه الدولة غير قادرة على تغطية نفقاتها العامة من إيراداتها العامة.

أما تبرير وجود العجز فقد يحاول البعض إيجاد مبرر لسماح الحكومات بتكوين عجوزات في الموازنة العامة، في حالة كون النمو في النفقات الحكومية يهدف إلى تحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية، فزيادة الاستثمار العامة كنسبة من إجمالي الناتج المحلي عن طريق تحسين البنية الأساسية المادية على سبيل المثال قد تؤدي إلى ارتفاع نسبة العائد على رأس المال الخاص أو إلى إنتاج سلعة أو خدمة لن يستطيع القطاع الخاص توفيرها بسبب العوامل الخارجية، وقد تمثل زيادة

الإنفاق على التعليم أو الرعاية الصحية أو شبكة الحماية الاجتماعية أو ربما لتمويل العجز حجة قوية لتعزيز رأس المال البشري للدولة، فهذا الإنفاق على رأس المال المادي والبشري يمثل استثماراً قومياً جيداً يقوم بتغطية تكاليفه من خلال زيادة الإنتاجية وزيادة الدخول ومن ثم زيادة الإيرادات الضريبية والإيرادات الأخرى.

ولكن من الصعب استخدام هذه المقولة لتبرير نمو العجوزات العامة فقد يكون لارتفاع مستوى النفقات العامة مؤشراً اقتصادياً إلى حد ما غير صحيح مما يؤدي إلى خفض معدل النمو الاقتصادي، فعلى سبيل المثال قد يؤدي الدعم الحكومي إلى الحد من الكفاءة الاقتصادية عن طريق حماية المؤسسات من المنافسة، وارتفاع تكاليف الإنتاج وتشويه مؤشرات الأسعار، وتشجيع الأنشطة الباحثة عن تحقيق الربح الاقتصادي بطرق مختلفة مما يؤدي إلى أن تكون النتيجة هي سوء توزيع الموارد بعيداً عن أكثر استخداماتها الإنتاجية.

حالات عجز الموازنة العامة ومعالجتها

إن لعجز الموازنة العامة أسباب مختلفة فقد يكون ناشئاً عن خطأ حسابي في تقدير اعتمادات الموازنة العامة وقد ينتج عن أسباب أخرى تزول بعد فترة: أزمة اقتصادية نشأ عنها عجز مؤقت (يتوقف على مستوى النشاط الاقتصادي إنعاشاً أو انكماشاً)، وقد يكون متأتياً عن خلل هيكلي

في الاقتصاد القومي يتوضح من نقص مستمر في الموارد العامة، ولكن كيف نعالج هذه الحالات من خلال جعل الموازنة العامة في حالة توازن أي أن تكون نفقاتها العامة تساوي إيراداتها العامة.

أولاً: حالة الاختلال الناشئ عن خطأ حسابي في التقدير: وهذا لا يشير أية صعوبة في معالجتها، ذلك لأن مراعاة الدقة والموضوعية في تقدير الإيرادات العامة والنفقات العامة في المراحل اللاحقة سيكون كفيلاً بتجنبه.

ثانياً: حالة العجز المؤقت في الموازنة: والذي يتمثل بعدم التساوي بين النفقات العامة والإيرادات العامة، لأسباب متعلقة بزيادة النفقات العامة أو انخفاض الإيرادات العامة نتيجة لتراجع معدلات نمو الدخل القومي الذي حدث تحت تأثير حركة نزولية أنخفض فيها مستوى النشاط الاقتصادي، ويمكن قبول هذا العجز طالما أنه مؤقت وبخاصة إذا تم تطويقه بسياسة مالية ونقدية محددة ومخططة تبعاً لتوازن الاقتصاد القومي، وعلى الرغم من أهمية معالجة هذا العجز طالماً أنه ممكناً والسبيل إلى ذلك، تخفيض النفقات العامة وزيادة الإيرادات العامة أو استخدام الاثنين معاً، ولا شك أن لكل أسلوب منها حدوده وخطورته وأهميته سنتابعها كما يأتي:

١ـ تقليص النفقات العامة:

تتحدد الإيرادات العامة في ضوء مستوى النفقات العامة، وعندما يحصل عجز في الموازنة العامة، فيمكن تخفيض النفقات العامة لتتوازن مع الإيرادات العامة، ولاشك أن هذا الحل يمثل تطبيقاً لمبادئ الفكر المالي التقليدي، الذي أكد بأن النفقات العامة ما هي إلا نفقات استهلاكية لذلك فمن المنطق تقليل الاستهلاك العامة. ولا يمكن القبول بهذا الفكر بصورة مطلقة بسبب تعارضها مع:

أ ـ السياسة المالية الحديثة التي فرضت على الدولة أن تتدخل في النشاط الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى واجبها الأساسي هو تقديم الخدمات العامة لإشباع الحاجات العامة، ولاشك أن الموارد العامة تتحدد تبعاً للإنفاق العام وليس العكس.

ب ـ أن تقليص النفقات العامة يعني تقليل الطلب الحكومي. الذي يؤدي إلى تقليص الطلب الكلي. وهذا الأمر يساعد على تقوية الاتجاه نحو الأزمة، لأنه يشحذ من درجة الانكماش في الدخل القومي، ويزداد سوءاً من خلال الانكماش في الحصيلة الضريبية وهذا يؤدي إلى تقليص أضافي في النفقات العامة.

ج ـ أن تخفيض النفقات العامة يخالف الاتجاه الطبيعي المتمثل في اتجاه معدلها نحو الزيادة في المدى الطويل.

د ـ وأخيراً فإن بعض النفقات العامة غير قابلة للتقليص بطبيعتها بصرف النظر عن الطريقة التي نشأت فيها، مثل فوائد الدين العام وأقساطه، أو أن الظروف لا تسمح بتخفيض بعض بنودها: الأجور والمرتبات، نفقات عسكرية ضرورية ولذلك تنصرف مسألة التقليص إلى بنود أخرى قد تكون أفضل من غيرها في هذه المحاولة ومع ذلك فأن هذا الأمر ليس مطلقاً حيث أن له حد معين يصبح بعده غير قابل للتقليص.

وفي ضوء ما تقدم أن سياسة تقليص النفقات العامة لمعالجة العجز في الموازنة

العامــة خاصــة الضرورية منهــا والمتعلقة بالخدمــات العامــة وبالمشــاريع الإنتاجية التي تزيد من تنوع مكونات الناتج القومي الإجمالــي تكون غير فعالة ومشــكوك في نتائجهــا حيــث يصعب تحديــد أثرها على الدخل القومي..ولو تتبعنا الآثار المباشــرة وغير المباشــرة لمثل هــذا التقليص لتعذر تحديد نسبة التخفيض التي تسد العجز في الموازنة العامة.

٢ـ زيادة الإيرادات العامة:

عندما تتوفر الإمكانية على زيادة بعض مصادر الإيــرادات العامة، ويتعذر تقليص النفقات العامــة، يمكن تحقيق التوازن في الموازنــة العامة من خلال زيــادة إيرادات المصــادر المتاحة، مثل زيــادة الصادرات مــن المــواد الأوليــة والمصنعــة وزيــادة الإيــرادات الضريبيــة إلا أن هــذا الطريق ليــس ممهــداً لأنه يعتمد على مــدى مرونة الجهــاز الخارجــي على هــذه المنتجات، وكذلــك علــى كفــاءة الجهــاز الضريبــي وتنوعــه، وعلــى زيادة المقــدرة الضريبية للمكلفيــن وعلى المحافظة على المال العام والحرص على زيادته، والقدرة على تحديد الحصيلة الضريبية المثلى (العبء الضريبي الأمثل) لأن أي زيادة فوق هذا الحد سيؤدي إلــى انكماش الحصيلة الضريبية رغم زيادة أسعار الضرائب بل وأكثر من ذلك إذ حتى لو كانت الزيادة في أســعار الضرائب دون الحصيلة الضريبية المثلى، فإن لهذه الزيادة أثارها الانكماشــية على الدخــل على وجه التحديد، ذلك لأن الزيادة في سعرها يمثل زيادة الجزء المقتطع مــن الدخل وبالتالي تقليــص الجــزء المخصــص للاســتهلاك والادخار ثم الاستثمار.

٣ـ معالجة النفقات والإيرادات العامة معاً:

يمكن اســتخدام جانبي الموازنة العامة لتحقيــق التوازن فيها، أي العمل على تغيير مكونــات النفقات العامة من خلال أحداث تغييــرات كيفيــة ونوعية لا كميــة فيها عن

طريق زيادة بعض البنود والاعتمادات على حساب بعض آخر من البنود والاعتمادات بسبب التطورات والتغييرات التي تحدث في المجتمع والاقتصاد القومي، مثل ضغط التحويلات إلى الخارج وزيادة التحويلات إلى الداخل وزيادة النفقات الإنتاجية على حساب بعض النفقات العسكرية في حدود ما تسمح به الظروف الأمنية والسياسية الخاصة في البلد بالإضافة إلى زيادة الاهتمام بالرسوم الكمركية فهي فضلاً عن أنها إيراد مالي جيد فإنها تستخدم لتنظيم عمليات الاستيراد ولحماية المنتجات الوطنية وزيادة قدرتها على منافسة مثيلاتها من السلع الأجنبية، مثل هذه الإجراءات وغيرها تساهم في تحقيق التوازن بين الإيرادات والنفقات العامة.

ثالثاً: العجز الهيكلي في الموازنة العامة: يحدث هذا العجز إذا لم تمول الإيرادات العامة بصورة مستمرة النفقات العامة، حيث يصبح دائماً لا مجرد عدم التوافق بين الإيراد والنفقة، وإنما لعدم توازن الجهاز المالي كله، ويعود هذا الوضع عادة إلى زيادة النفقات العامة بمعدل يزيد عن القدرة المالية للاقتصاد القومي بجميع مصادره، أي قدرة الدخل القومي على تحمل الأعباء العامة على اختلاف صورها.

وهذا يشير إلى وجود خلل في هيكل الاقتصاد القومي نفسه حيث يكون الإنفاق العام غير منتج إنتاجاً كافياً، ويعتبر علاج هذا العجز صعباً إذا عولج بأساليب مالية محضة، وبالنظر إلى أن العجز الهيكلي يترتب بطبيعته على اختلاف في الهيكل الاقتصادي ذاته، ولهذا يجب أن يضاف إلى العوامل المالية عوامل اقتصادية متعددة.

وفي هذا المجال يمكن التخفيض من العجز الهيكلي بطريقتين: تتمثل الأولى في العمل على التخفيف من معدل الزيادة في النفقات العامة من خلال الضغط على النفقات ذات الأهمية القليلة ورفع إنتاجية النفقات العامة إلى أقصى قدر ممكن.

والطريقة الثانية تتمثل في زيادة معدل الزيادة في الموارد العامة وهي تعتمد على الأولى لأن زيادة إنتاجية النفقات العامة يؤدي إلى زيادة الدخل القومي، الذي يقود إلى زيادة الجزء المقتطع منه (الإيراد العام) وهذا يعني أن معالجة مصادر الإيرادات العامة وبخاصة الضرائب ينبغي ألا يكون بصورة مباشرة ومنفصلة عن الطريقة الأولى، وإنما مع العمل على زيادة الإنتاجية في النفقات العامة، لأن زيادة الضرائب تعني زيادة الجزء المقتطع من الدخل لتغطية هذا الإنفاق الذي قد يكون أحياناً أقل إنتاجية من الإنفاق الخاص، ويحدث ذلك في الحالات التي تفتقر فيها وحدات الاقتصاد العام إلى الكوادر الكفوءة في الإدارة العامة والاقتصادية ، أو لما ما تعانيه من خلل في تنظيماتها، أو لعدم الشعور بالمسؤولية وضعف الجهاز الرقابي أو الانتشار الفساد الإداري والمالي، أو لتخلف وسائلها الفنية عن مستوى التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال الإنتاج... وعندئذ يقضي المنطق تخفيض الضرائب لوضع جزء كبير من الدخل القومي تحت يد الإفراد، وهذا يشكل عاملاً مشجعاً لأوجه النشاط الخاص، بشرط عدم إلحاق الضرر بالمصلحة العامة القومية في ضوء ظروف المجتمع وفي الحالتين فإن ذلك يساعد على تهيئه الفرصة للارتفاع بإنتاجية الاقتصاد الخاص والعام معاً ■

البعد الإنساني في العمارة النجفية

رسالة الإنسانية بين المرسل والمتلقي

- **د. عبد الله سعدون المعموري**
  قسم الهندسة المعمارية/ الجامعة التكنولوجية
- **م. محاسن هادي خلف**
  استشاري وباحث/ وزارة الإعمار والإسكان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

الشعراء: ١٢٨ـ١٢٩

تنابيع لكل مدينة من مدن العالم طابع معماري، يعكس ذوق سكانها، ودرجة الرقي المعماري التي وصلت إليها.

مدينة النجف الأشرف شأنها كشأن باقي المدن ظهرت فيها ملامح للعمارة منذ أن أصبحت مسكناً، ثم تطورت مع الزمن بفعل التماس مع أفكار القادمين إليها الذين حملوا معهم أنماطاً للعمارة كانت سائدة في بلدانهم التي قدموا منها. وكان الجهد المعماري ينصب على مرقد الإمام علي عليه السلام باعتباره أبرز علامة في

المدينة، فقد تجلت فيه صوراً للإبداع الفني متمثلة بالخط والزخرفة وأساليب البناء المتميزة.

ودراستنا هذه للعمارة النجفية في بعدها الإنساني تدور في ثلاثة محاور، اثنان منها تتركز على شخصية الإمام علي عليه السلام الذي أكسب النجف قيمتها الحضارية، أما المحور الثالث فيدور حول البعد الإنساني في العمارة النجفية.

المحور الأول:

البعد الإنساني في شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الإنسان في اللغة، إنسُ: البَشَر، الواحد إنْسِيٌّ وأَنَسِيٌّ أيضاً بالتحريك، والجمع أَناسِيٌّ. والأَنْس: أنْسُ الإنسان بالشيء إذا لم يَسْتَوْحِشْ منه. وقال تعالى: (وأَناسِيَّ كثيراً). وكذلك الأَناسِيَةُ. ويقال للمرأة أيضاً إنْسانٌ، ولا يقال إنْسانةٌ[1]. وإنسانية الإنسان هي في منحه كل ما يحتاج إليه لإقامة الحياة الكريمة من دون إفراط ولا تفريط.

يمكن تلخيص حياة الإمام علي عليه السلام بثلاث مراحل كبرى جعلت منه رمزا للإسلام الأصيل في أتقى صوره وأبهى تجلياته؛ منها ٢٣ سنة من الجهاد من أجل رفعة الإسلام ونشر الرسالة، و٢٥ سنة من الصبر من أجل الوحدة وتأسيس علوم الدين، وخمس سنوات من الجهاد من أجل العدالة والإنسانية وتقديم نموذج فائق المثالية في الحكم والسياسة لكي تبقى القيم العليا التي أسس عليها الإسلام وحدة قياس ومرجعية تحدد بناءً على استقامتها درجات الانحراف عن الصراط المستقيم. فالإمام علي عليه السلام هو تجسيد للقيم الإنسانية ومن الإجحاف بحقه أن نختصر شيئاً من حياته ومناحيها التي تحتاج إلى مجلدات، ولكن اختزال بعض الصورة في مجال الدراسة هو غايتنا وليس الاقتصار عليها.

وقد وجد علماء وأدباء وفلاسفة ومفكرين في الشخصية الإمام علي عليه السلام الفذة مثالاً للعدالة الإنسانية وقدرته على صيانة القيم الإنسانية والرسالة الإلهية العليا، كان عليه السلام وما يزال لكل مسلم ولكل إنسان سفينة العبور إلى أمة إسلامية مترفعة عن كل أنواع العصبيات الجاهلية والمذهبية والفئوية. وكان لعلي عليه السلام أخلاق قلّ أن اجتمعت بإنسان، فقد كان من تورعه عن البغي مع قوته البالغة وشجاعته النادرة أنه لم يبدأ أحداً قط بقتال، فقال

الشناشيل في المنطقة القديمة ـ النجف الأشرف

للإمام الحسن عليه السلام: لا تدعوَنّ إلى مبارزة، فإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع ببغيه.

أما مروءته فكانت أندر بين ذوي المروءة من شجاعته بين الشجعان، فقد نهى جنده وهم ناقمون أن يقتلوا مدبراً أو يجهزوا على جريح، أو يكشفوا ستراً أو يأخذوا مالاً.

كانت هذه المروءة سنته مع خصومه من استحق منهم الكرامة ومن لم يستحقها، وهي أندر مروءة عرفت من فارس مقاتل في غر القتال، ومما زادها كرامة ونبلاً، إلا سلامة صدره من الضغن على أعدى الناس له، فقد نهى أهله وأصحابه أن يمثلوا بقاتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي أو أن يقتله أحد غيره.

اقترنت شجاعة الإمام علي عليه السلام وقوته الجسدية بقوته الخلقية لثقته في نفسه واعتزازه بها، لأنها جزء من شجاعة الفارس، وهي الثقة المطلقة في صراحتها واستقامتها، لأن صاحبها لم يتكلف مداراتها، وقد حملها من ميدان الشجاعة والقتال إلى ميدان العلم والتعليم حين كان يقول: (سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعتها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها).

وكان إلى جانب ذلك صادقاً صريحاً، فما استطاع أحد قط أن يحصي عليه كلمة مخالفاً فيها الحق الصراح في سلمه وفي حربه، وبين أصحابه أو بين أعدائه، ولعله كان أحوج إلى المصانعة بين النصراء مما كان بين الأعداء، لأنهم أرهقوه باللجاجة واعنتوه بالخلاف، فما عدا معهم قول الصدق في شدة ولا رخاء حتى قال فيه أقرب الناس إليه، وفيه قال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب.

وقد أبى عليه السلام أن ينزل في القصر الأبيض في مدينة الكوفة إيثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء، وربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام، وعلى زهده الشديد كانت فيه سماحة ينبسط فيها، وكان على قسط وافر من الفهم والذكاء والمشورة حتى قال: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس).

هذه صفات تنتظم في نسق موصول، رجل حرّ وفارس شجاع، شجاع لأنه قوي، وصادق لأنه شجاع، وزاهد مستقيم لأنه صادق، ومثار للخلاف لأن الصدق لا يدور بصاحبه مع الرضى والقبول والفوز، وأصدق الشهادات لهذا الإنسان النبيل الصادق أن الناس قد اثبتوا في حياته أجمل صفاته المثلى، وهي مفتاح شخصيته التي يمكن أن تسميها آداب الفروسية عند العرب بأجلى معانيها النبيلة، وتظهر شخصيته في أمور أخرى تجري مجراها فتتم الفروسية، منها: الفقه والنزوع إلى الزهد والابتعاد عن الدنيا واستنباط حقائق الأمور، وطبيعة الفروسية وطبيعة الجهاد من معدن واحد، ألا وهو مكارم الأخلاق، وما آداب الفتوة إلا بعض آدابه حتى قيل فيه: لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار.

كما نرى شخصية الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة شخصية فذة، فارس شجاع ومؤمن ثائر بليغ، فهو رجل العقيدة القوية والإيمان الحي الذي تقوده العقيدة إلى

القيام بجميع شعائر الدين وحمل الآخرين على اتباع هذا السبيل، وتقوده عقيدته الحية إلى الاستقامة، لا تعرف التواء ولا مواربة، بل تمضي في سبيل العدل والواجب من غير مراعاة للخواطر ولا محاباة للوجوه. وفي الحقل الأدبي والأخلاقي كان علي عليه السلام مثالاً عالياً في الأخلاق والنزاهة والتجرد، جريئاً لا تأخذه في الحق لومة لائم، وفي الحرب والوغى، لا يخشى موتاً ولا يرهب عدواً، ولكن شجاعته لم تحجر قلبه ولم تقسّ نفسه، فكان رقيق العاطفة، عميقها، تظهر في مواقف كثيرة لاسيما عند استشهاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إذ ظهر أن حزنه سرمد وليله مسهد.

وكان يكره الرياء ويحب الصراحة ويشجع على الحق، وقد انفض من حوله أقرب الناس إليه بسبب خصاله تلك وأخذوا يؤيدون معاوية. وتتجلى فضائل الإمام علي عليه السلام ومناقبه وزهده كثرة وانتشاراً ومن أهم الأشياء التي استحق بها الفضل هي: السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة للرسول صلى الله عليه وآله والقربى منه، والقناعة وبذل النفس، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد في سبيل الله، والورع والزهد، والقضاء والحكم، والفقه والعلم، والمؤاخاة لرسول الله صلى الله عليه وآله، والمناداة به يوم الغدير، إضافة لمسلكه في الكلام والمعرفة البديهية بوسائل التعبير حيث جمعت بين الطبع والسجية معاً، ولغة عربية صقلها وليّنها العهد الجديد والحضارة والدين الجديد، مما أكسبه ثروة فكرية أدبية واسعة، مما يجعل له محلاً رفيعاً في عالم الدين والأدب والاجتماع إضافة لميادين الحياة الأخرى العديدة التي عزّ وجودها في غيره. ونشأ الإمام علي عليه السلام على الحرية، حرية المعتقد فهو لم يعبد الأصنام وفتح عينيه على مهيئات الرسالة. وحرية الرأي في القول والعمل وظل ملتزماً بها حتى ساعة استشهاده[٢].

وقد صدق الأديب المسيحي بولس سلامة عندما أوجز الكلام في إنسانية الإمام علي عليه السلام بعد أن رأى أن السلم عنده منهاج متكامل في الحياة وليس على مستوى الحرب فقط، فقال: (سدرة المنتهى في الكمال الإنساني علي بن أبي طالب عليه السلام). ولذلك نرى دائماً وأبداً أنه إذا كانت إرادة السماء قد شاءت أن يكون نداؤها الأخير للإنسان قد تمثل نغماً قدسياً في رسالة الإسلام، فقد شاءت إرادة الحق أن يكون الإمام علي عليه السلام ضمير الرسالة وإمام الفضيلة وسيد السلام. ولقد رأى جبران خليل جبران الكمال الإنساني بكل معانيه وأبعاده متجلياً في ثلاث من شخصيات العالم هم: عيسى، محمد، علي. وجبران يعتقد أن علياً هو أول عربي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عرف الذات الأحدية ولم يفارقها في حبه، وإخلاصه، وصدق سريرته، وفي خطبه النورُ الساطع الدليل على ذلك، وفي سلوكه الديني، والاجتماعي والإنساني أيضاً، وأن الذين أحبوا علياً قد لبوا دعوة فطرتهم السليمة التي لم تفسدها السياسة، وشهوات الدنيا الآثمة، وعلي في عقيدة جبران (جوهرة بين الحصى)، أي أنه تفرد بمعان جعلت منه الإنسان الكامل.

وما نذكر جبران وأشباهه إلا لنؤكد ذلك في نفوس الآخرين وإلا فهو لا يحتاج إلى مثل جبران لتقييم شخصيته الكريمة وذاته النزيهة.

ويبرز عباس محمود العقاد صورة لموقف قريش من علي قد تكون أدق

وضوحاً وأرسخ وثاقة فيقول: (إن قريشاً كانت تحقد على الإمام، وتنحيه عن الخلافة)، ويرى أن سبب ذلك الحقد الدفين فيقول: (فقد بطش علي بنفر من جلة البيوت القرشية في حروب المسلمين والمشركين، وقتل من أعلام بني أمية وحدهم: عتبة بن أبي ربيعة جد معاوية، والوليد بن عتبة خاله، وحنظلة أخاه، وجميعهم من قتلاه يوم بدر.. عدا من قتلهم في الوقائع والغزوات الأخرى، فحفظ أقاربهم له هذه الثّرات بعد دخولهم في الإسلام، وزادهم حقداً أنهم لا يملكون الثأر منه لقتلاهم من الكفار)[٣].

وعلى الإسلام السلام أن يبغض علياً من أجل قتل الكفار وأعداء الإسلام.

ويقول المؤرخ والمحقق الفرنسي كاراديفو في كتابه (مفكرو الإسلام): (وعلي هو ذلك البطل الموجَعُ، المتألم، والفارس الصوفي، والإمام الشهيد، ذو الروح العميقة القرار التي يكمن في مطاويها سرّ العذاب الإلهي)، ويرى في علي فارساً غالباً، ولكنه فارس صوفي، أي إن فروسيته نهلت من معين المعارف الإلهية حتى الارتواء، فهو لا يرفع سيفه النبيل، ويهوي به إلا ليقتل شيطاناً من طواغيت الاستكبار المشرك، والطبيعة الجاهلية، البطرة، ليعز كلمة اللّه، ويجعل الناس يعيشون تحت ظلالها جنات الإخاء والمحبة والمفاسد التي اتخذ منها إبليس جنوداً ليحجب الإنسان عن ربه وإنسانيته.

وعلي عليه السلام إمام رفعه إلى مقام الإمامة الأقدس ـ بعد حكم اللّه تعالى ـ كفاءاته العلمية والدينية والأخلاقية وسموه الروحاني. ويعتبر العقاد إن ثقافة الإمام

جانب من أواوين دورة الصحن العلوي الشريف التي أزيلت في ثمانينيات القرن الماضي

هي: ثقافة العَلَم المفرد، والقمة العالية بين الجماهير في كل مقام، وإنها هي ثقافة الفارس، المجاهد في سبيل الله، يداول بين القلم والسيف، ويتشابه في الجهاد بأسه وتقواه، لأنه بالبأس زاهد في الدنيا مقبل على الله، وبالتقوى زاهد في الدنيا مقبل على الله، فهو فارس يتلاقى في إقباله على الله تعالى دينه ودنياه. ويقول: (كان علي المسلم حق المسلم في عبادته، وعلمه، وقلبه وعقله، حتى ليصح أن يقال، إنه طبع على الإسلام، وأن الدين الجديد لم يعرف قط أصدق إسلاماً منه، ولا أعمق نفاذاً فيه)[٤].

يحمل الإمام علي عليه السلام فكراً إنسانياً ثورياً فاعلاً يرقى في تطوير المجتمع إلى تحقيق ما تحلم به الإنسانية من حياة فاضلة كريمة، وأنه استشهد في سبيل ما كان يريد أن يجعله واقعاً حياً، لذلك فهو إمام شهيد صاحب نفس وضّاءة تختزن سراً إلهياً قدوسياً، هو سر قبول تحمل العذاب حتى الموت لإنقاذ الإنسان من الظلمات إلى النور.

المحور الثاني:

رسالة الإمام علي عليه السلام الإنسانية بين المرسل والمتلقي

يحمل الإمام علي عليه السلام رسالة إلى الإنسانية تحاذي الرسالة الإسلامية وتنهل من قيمها أعلى القيم الأخلاقية والإنسانية ليرتقي بالفكر الإنساني ولتنعكس قيمه الإنسانية الكامنة في عمق روحه ومتجذرة في أصل تكوينه البشري على كل من جاوره حياً وعاصره إماماً، أو من كان يتشرف بمجاورته وانتمائه له ضريحاً شريفاً ارتقى ليمثل رمزاً بكل أبعاده الإنسانية وصار كل ما حوله من مصنعات وحرف هي محاكاة لعمارة ذلك الضريح ومناجاة روحية معه، فمثل الإمام عليه السلام المرسل لرسالة تحمل شفرة عميقة يفك رموزها متلقي تتسم منذ عهد طفولته الأولى نسائم تهب صباحاً، واعتاد انتهاج نهجاً خطته غابرات الأيام متمثلة في قيم إنسانية رسمها الإمام في كل مسلك من مناحي الحياة.

تميزت رسالة الإنسانية عند الإمام علي عليه السلام ببلاغة اللغة أولاً وجزالة اللفظ، فقد كان فقيهاً متحدثاً لا يباريه أحد أبداً، فاللغة وطبيعتها و نوعها هي خاصية كل نوع من المخلوقات على حدة، أي أن لكل امة لغة تتخاطب بواسطتها، زقزقة أو صهيلاً أو مواءً، ولها صفات بيئية بيولوجية معينة تجعلها مختلفة عن باقي الأمم، فلقد قسم الله تعالى المخلوقات إلى أمم أمثالنا (وَمَا من دَابَّة في الْأَرْض وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ من شَيْءٍ)، أما إنسانية الإنسان فهي تتجلى فقط بقدرته على الكتابة والرسم وفي قدرته أيضاً على استقراء هذه الرسومات، والقران الكريم حدد هذه النقطة بشكل دقيق فجاء في الآية الكريمة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، وقال ابن خلدون: (تعتبر اللغة من جملة الصنائع لأننا نرى جودة الخط في المدن) أي نسب اللغة إلى الجانب الإنساني منها وهو الكتابة فقط وأنها تتجلى في أرقى درجاتها مع الإنسان عندما تصل لأن تكون إشارات ورسومات مكتوبة أيضاً يمكن للإنسان أن يقرأها، مما يتيح له القدرة على التعلم وتوريث العلم كتابة، دون أن يكون المعلم لهذا العلم على قيد الحياة، وهذا ما جسده إمامنا العظيم في كتابته للقرآن الكريم

القرآن الكريم بخط الإمام علي عليه السلام

بخط يده مجسداً الإبداع الإنساني للرسالة الإسلامية وقد وجِدت مخطوطات عدة بخط يده، وما تزال تحتفظ مكتبة جامعة Yale الأمريكية بمخطوطات نادرة منها.

ويعد هذا التميز والتفرد الذي مثله الإمام علي بتدوين القرآن الكريم كتابة هو من مظاهر الإبداع الإنساني عنده إلى جانب الجدة والمرونة في الابتكار حيث إن الالتزام بقيم إنسانية عليا تمكن الإنسان من رؤية (الرمز الخالد في الأثر الزائل) إلا أن هذا الالتزام يجب أن لا يكون سلبياً كمحاكاة عمياء، لذلك فان الحسّ التاريخي بحضور الماضي هو الذي يجعل الإنسان تقليدياً في تميزه وفي الوقت نفسه من أبناء عصره، وبالتالي ضمان ديمومة الإبداع من خلال التوريث لشيء سرمدي في حقيقته كالقيم الإنسانية، فالإبداع الفني من حيث أهمية الالتزام بالقواعد لكن بشرط أن يتم ذلك بطرق متفردة ونبيلة، وفي ذلك تأكيد على ارتباط القيم الإنسانية بالإبداع الفني، وقد ورد في المذهب الأفلاطوني الذي عد الفن المبتعد عن التمويه (تقليد المحسوسات)، أعلى من الذي يميل إلى التمويه ولا يؤكد الجانب الإنساني، ووفقاً لذلك، فالإنسانية تعد المقياس الأكبر للفنون وقوة الإبداع الفني فيها وقد تجسد هذا بوضوح للمتلقي للقيم الرائعة في رسالة الإمام علي عليه السلام الإنسانية، فالتفرد والتميز عنده كظاهرة يرتبط بقيم وأعراف تنطلق من واقع أخلاقي إنساني مرتبط بالخالق سبحانه، حيث لا يمكن أن يتحقق الإبداع بعيداً عن مرجعية إيمانية تلهم الإنسان بمفاهيم ومقاييس جديدة لإبداعات الأجيال الماضية، وبالتالي استمرارية الحضور الحي لهذه الأجيال، كما أن الخلود للنتاجات المتفردة والمبدعة يأتي لكونها تساهم في عملية التطور وتحدث اختلاف وفرق واضح، وبالتالي يمكن تحقيق البقاء والحفظ والتغلب على حالة الفناء المادي، فالحفظ كظاهرة حقيقية يتعارض مع النسيان المطلق كحقيقة سيكولوجية، حيث يكفي حضور المؤثر المناسب لاسترجاع ما ضاع من الذاكرة، لذلك سميت الذاكرة عند فلاسفة العرب بالحافظة، و(الحفظ الإلهي) هو القول بأن إبداع العالم وبقاءه متوقفان على فعل الله تعالى، فهو يخلقه ويبقيه ويحفظه في كل لحظة.

لـذا يمكن القول إن هنـاك نوعين من الحفـظ، الأول يتحقق بـالإرادة الإلهية، والآخر يرتبط بالحضور الإنسـاني، ويعد التوثيـق أحـد الآليـات التـي يتحقق من خلالها الحفظ.

والإمـام علـيعليه السلام هو القـرآن الناطق مثلما أن القـرآن هو الإمام الصامت ومن الانطلاقـة القرآنية والتعاليم السـماوية، نسـتطيع أن نستكشف رؤية الإمام عليعليه السلام لمبـدأ الإنسـانية فـي تعامله مـع الآخر، فمن المعروف عنه أنـه كان دائم الاهتمام بموضـوع احتـرام الذات وعـدم تهميش الآخر وإقصائه وهذه الحقيقة المؤكدة في البعـد الإنسـاني نجدها جلية مشـرقة في قاموس الإمام الإنسـاني على مدى امتداد فترة خلافته ومـا قبلها. فرغم كونه القائد الحق، ورغم كونه المبدوء دائماً بالحرب، فإنـه لا يواجـه عدواناً بالسـيف حتى يبدأ بالوعـظ والإرشـاد والنصـح والهدايـة يحاجـج من جيّـش الجيوش عليـه وأقبل بالعدوان إليه لاحترامه للإنسان كقيمة عليا وقيمة الإنسان الممنوحة له من الله سبحانه في اسـتخلافه للأرض وتسـخير الطبيعة لخدمته، فالإسـلام حركة حضارية شاملة تربط بين مسألة الإيمان ومسألة الإبداع، بيـن التلقي عن الله تعالـى والتوغل قدما في مسالك الطبيعة ومنحنياتها وخفاياها، بين تحقيق مسـتوى روحي عالٍ للإنسـان على الأرض وبين تسـخير قوانين الكيمياء والفيزيـاء والرياضيات لتحقيـق الدرجة نفسها من التقدم والسـمو على المستوى المـادي. ولـم يفصـل الإمـام علـيعليه السلام في رسـالته الإنسـانية بين هـذا وذاك بل إنه يقـف موقفاً شـمولياً مترابطاً يرفض التقطيـع والتجـزيء في تقييـم الموقف الحيوي وقد انعكس هذا بوضوح كامل عبر مسـيرة حياته ورقي أفكاره وعقيدته التي تحتفظ بتوازنها المبـدع بين الطرفين من أجل تحقيـق التداخل والتكامـل والتوازن بين القيم الروحية والقيم المادية.

يعد المكان وأشياؤه عند الإمام عليعليه السلام ليـس فقـط امتـدادات فـي الفـراغ ذو إحداثيات هندسية تُعَرّفها وإنما موجودات ذات طبيعـة حيـة وخصائـص متميـزة ومتفاضلـة فقد قـالعليه السلام: (إذا مـات العبد يبكي عليه مصلاه في الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَـا كَانُـوا مُنظَرِيـنَ))[٥]، كيف يمكـن للمكان الجامد اللاواعي أن يبكي أو يفتخر أو يشهد ويشارك الذات الواعية في خصائصها؟ ولا شـك إننا نجد صعوبة في إدراك طبيعة العلاقة المكانية التي يصورها هـذا الحديث ضمن إطارنـا الفكري الذي تحدده العلوم الحديثة والتي تدفعنا لاعتبار المـكان بصفتـه الفيزياويـة الجامدة غير الواعيـة مقابل الذات الإنسـانية الواعية، هـذه العلاقة المعنوية لإدراك المكان ليس فقط بصفته الفلسفية المجردة وإنما أيضاً كامتداد للأحوال الإنسـانية التي تجعل من هذا الفـراغ المجرد الثابت مكانا ذا طبيعة متلونة متحولة، فالإنسـان جزء من وحدة المكان ويتوافق معه لأنه لا يدرك الأشـياء والمكان فـي ذاته وإنما يـدرك العلاقات القائمـة فيه، فالمـكان ومـا يحتويه ليس فقط امتدادات في الفضاء ذات إحداثيات هندسية معّرفة وإنما موجودات ذات طبيعة وخصائص إنسانية متميزة[٦].

ويـرى البعـض أنّ الإمـام عليعليه السلام قد استشـهد بالطريقة المعروفـة على يد ابن ملجـم لعنه الله نتيجة الإفـراط في تعامله

الإنساني مع الآخرين الذين استغلوا نزعته الإنسانية للقضاء عليه وعلى تلك النزعة التي لا تروق لهم ولا لمخططاتهم وهذا ما أكده المستشرق الاسكتلندي وليم موير (١٨١٩-١٩٠٥) في كتاباته المتعددة عن تاريخ الإسلام والمسلمين.

المحور الثالث:

البعد الإنساني في العمارة النجفية

تعد العمارة محتوى فعاليات الإنسان، ومن أهم مصنعاته عبر التاريخ بكل ما تتضمنه بنيتها من العناصر الشكلية والعلاقات التي تربط بينها والقواعد التنظيمية التي تحكمها في التنظيم الفضائي وأنماط الحركة والتكوينات الشكلية التي تجسد حياة ساكنيها بما تتضمنه الأخيرة من قيم إنسانية ومعتقدات وأعراف ومفاهيم روحية تساهم في أنسنة الفعل المعماري. ويمثل المسكن البيئة العمرانية المصغرة التي يصنعها الإنسان لسد متطلباته الأساسية، وحيث إن لكل مجتمع خصوصية تميزه عن غيره لذا تختلف البنية الشكلية تبعاً للبنية الوظيفية وطبيعة الاستخدام للبيئة المعمارية والحضرية كما تختلف تبعاً لمتطلبات الخصوصية والتقاليد والعقائد والقيم التي لا غنى لدى المعماري عن معرفة دورها الكبير في صياغة وتشكيل النتاج المعماري المنسجم مع متطلبات الحاجة، فالعمارة امتداد مكاني ـ زماني يستوعب البعد الإنساني المتكامل ويمتلك قدراً من الثبات النسبي لمكوناته المادية كونها خاضعة للقيم والأعراف والمعتقدات.

وقد أبدع المعمار الفطري العربي المسلم في هذا الجانب واستثمر العناصر المتاحة من عقيدة وقيم أخلاقية وتقاليد

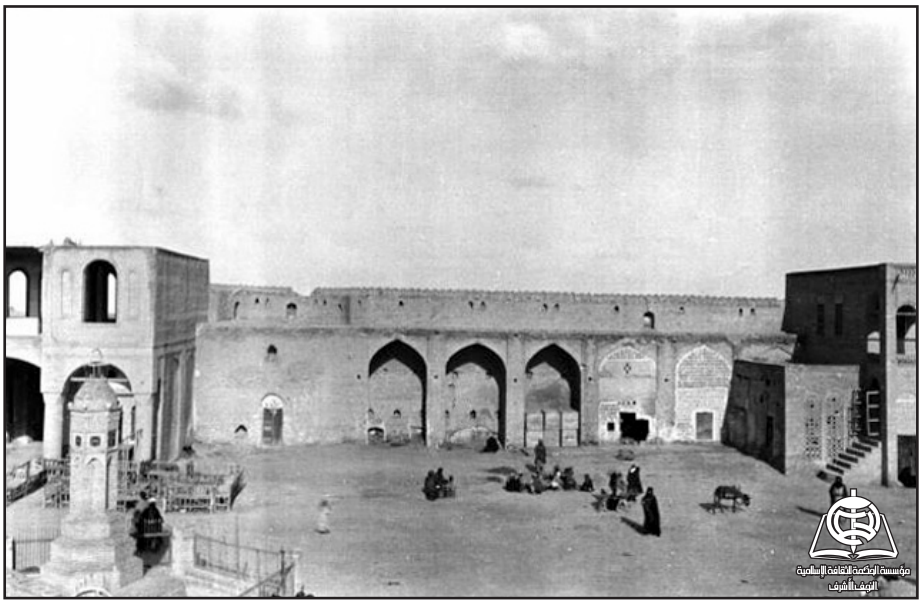

النجف من جهة السراي من داخل أسوار المدينة القديمة

صورتان توضحان علاقة المرقد الشريف بالمدينة القديمة

وموروثات شعبية لينتج عمارة مميزة، فمدينة كمدينة النجف الأشرف يرتبط تخطيطها وعمرانها أساساً بالمقياس الإنساني كما يتميز التكوين الحضري التقليدي بتجانس العناصر وتكاملها وهيمنة المرقد الشريف على خط سماء المدينة إلى وقتٍ قريب حيث إن القادم يرى أن المرقد هو أعلى تكوين فيزياوي فيها، وقد امتازت هذه المدينة شأنها شأن المدن العربية الإسلامية بطراز معماري خاص يتمثل بشوارعها الضيقة وأسواقها القديمة وتماسك نسيجها المعماري ومبدأ التراص بين المنازل والخصوصية والانتقال من الفضاء الخاص إلى شبه الخاص ثم إلى الفضاء العام والمعالجات المناخية ليس على مستوى البيت النجفي فقط بل حتى على مستوى الشوارع والأزقة والشناشيل والالتحام بين المرقد الشريف للإمام علي عليه السلام والنسيج الحضري وتفوقت عن بقية المدن بوجود إشعاع فكري علَوي يستبطنه الساكنون من نخبة ومجتمع في العقل اللاواعي لإنتاج مصنعاتهم وفنونهم ومنها العمارة، وقد كان لعمق الأبعاد الإنسانية في شخصية الإمام علي عليه السلام تأثير واضح غيبي على عمارة الضريح الشريف أنساق أثره على بقية العمائر المجاورة وامتد حتى شمل أطراف المدينة النجفية مما حمل العمارة النجفية بعداً إنسانياً واضحاً.

وقد مرت عمارتها بثلاث أطوار هي: الأول، عمارة عضد الدولة البويهي الذي امتد من سنة ٣٣٨ هـ إلى القرن التاسع الهجري، حيث شيد أول سور يحيط بالمدينة ثم شيد السور الثاني بعده. والثاني الطور الذي يقع بين القرن التاسع وأواسط القرن الثالث عشر الهجريين حيث أصبح عمرانها قديماً بسبب الحروب بين الأتراك والفرس. والثالث الذي يبدأ من أواسط القرن الثالث عشر الهجري وفيه حدثت الكثير من التغييرات العمرانية والثقافية والتي تستدعي الدراسة والتحليل لبحث الآفاق المستقبلية للمدينة المقدسة بما يوفر النقلة النوعية في إدخال التفاصيل المعمارية الوظيفية المنبثقة من إدخال عناصر معمارية ومواد إنشائية طالما نسبت للعمارة الحديثة، والتعامل الفكري مع الطروحات المختلفة وصياغتها ضمن مشاريع معمارية متجانسة بدمج البناء الجديد في الطوبوغرافيا وبنية المدينة

ليتكامل معها، وليتكامل كذلك مع البنية التاريخية والاجتماعية للمكان، فالتعامل مع أي مبنى كحلقة في النسيج العمراني المتضافر مع الأبنية المحيطة به، ويعبر من تراكمات الماضي متجهاً إلى المستقبل، فالبناء التجميعي للعمائر، وتدريجها وتداخلها تضفي نوعاً من التواضع، والاتصال البصري بين الفراغات والمباني تسهله الفتحات والممرات ومحاور للنظر، والأسطح والأدراج والانسيابية مع الشوارع، لتدعو بذلك للمؤانسة في المكان. وإيلاء البيئة المحيطة والطبيعة أهمية لما لها من دور وانعكاس في الأعمال المعمارية، حيث يستفاد من حركة الشمس والريح لتؤمّن محيطاً صحياً، والجمع والموازنة بين التقاليد والحداثة ليضفي حيويةً على المكان[٧].

تأثرت عمارة المدينة المقدسة بالأبعاد الإنسانية لعمارة الضريح المقدس للإمام علي عليه السلام عبر العناصر والعلاقات والزخارف والتكوينات الشكلية والنسيج الحضري المرتبط به وما من مبنى شيد إلا وكانت مرجعيته عمارة المشهد العلوي المقدس، مع ملاحظة أن عالم البشر الواقعي يمثل المدنس أما عالم السماء المثالي فإنه يمثل المثالية وهو المقدس، وإن الفرق بين المبنى الجميل والمبنى الجليل، هو أن الأخير يمتاز بالعظمة من خلال القياس والضخامة وطبيعة المواد وتأثير الظل والضوء، والألوان فضلا عن رؤية النتاج بشكل متكامل وواضح، وقد رُوعي في المشهد الشريف أمران: الأول، في شكل البناء بحيث أنه كلّما وصل الظلّ إلى نقطة معينة عُرف أنّ الشمس قد زالت، لا يختلف ذلك صيفاً أو شتاءً.

والثاني، أنّ الشمس كلّما طلعت فإنها تشرق على الضريح المقدس مباشرةً، سواءً في الصيف أو في الشتاء. وهذا يحتاج إلى الكثير من الدقة والمعرفة في قوانين الهندسة والفلك. وقد ورد في نص لمنظمة اليونسكو (إن مدينة النجف الأشرف تعد المدينة الإسلامية الوحيدة المحافظة على نسيجها الحضري نتيجة الإهمال المستمر من قبل الحكومات المتعاقبة عليها) وإن النسيج الحضري للمدينة كالمحلات القديمة يعد من أجمل معالم المدن الدينية، حيث لا توجد مدينة إسلامية مهيأة لتكون أفضل من دولة الفاتيكان أكثر من مدينة النجف القديمة. وبذا فإن عمارة المشهد الشريف قد مثلت نمطاً علوياً إلهياً في التناغم الإنساني مع الطبيعة والكون، ومحققا الراحة واليقين والطمأنينة في مدى ملازمة الظاهر للباطن من خلال تميز وبلاغة عمارته، والإطلاق الزماني والمكاني لما فيه من تحقيق القيم الإنسانية متمثلةً بالإنصاف والاعتدال والترابط والوحدة والتنوع واحترام الآخر وكينونته.

إن التعامل مع أي مبنى كحلقة في النسيج العمراني المتضافر مع الأبنية المحيطة به، ويعبر من تراكمات الماضي متجهاً إلى المستقبل، فالبناء التجميعي للعمائر، وتدريجها وتداخلها تضفي نوعاً من المقياس الإنساني والاتصال البصري بين الفراغات والمباني، تسهله الفتحات والممرات ومحاور للنظر، والأسطح والأدراج والانسيابية مع الشوارع، لتدعو بذلك للمؤانسة في المكان من خلال ما حققته عمارة الضريح المقدس من أنسنة للفعل المعماري على مستوى التخطيط

الحضري والبناء المنفرد واستعمال النقوش والزخارف والخط.

وإن مدينة النجف بمختلف أنماطها وطرزها كانت ولا تزال تعكس استجابة مادية لمتطلبات الإنسان، وتقف في مقدمتها العلاقة بين مقياس الحاوي والمحتوى من حيث علاقة أبعادها الأفقية والعمودية، حيث يمثل الحاوي في هذا الحال الفضاءات الحضرية، بينما الإنسان بأبعاده الفيزيائية وأحاسيسه الإنسانية المحتوى لهذه الفضاءات، وقد أدى المقياس الإنساني لفضاءات مدينة النجف القديمة دورا مهما في تحديد طبيعة إحساس المتلقي بكيفية انسجام وتناسق العناصر التخطيطية وقدرته على إدراكها وفهمها، وتؤكد المدينة القديمة على المقاييس الإنسانية للوحدات البنائية وشارع المدينة فلم يحدث الانفصال بين الساكن ومدينته.

وإن المقياس الإنساني هو واحد من المبادئ المهمة في تخطيط المدينة القديمة، فمكوناتها صممت بما يتلاءم والمقياس الإنساني، وتتمثل هذه العلاقات مع جميع مستويات بنية المدينة الحضرية، فشبكة الحركة في أزقة وشوارع تتحدد أبعادها بإمكانية استيعاب حركة المشاة المريحة والآمنة، كما أن التكوين المعماري للضريح الشريف والفضاءات العامة في أفنية مفتوحة وأسواق بأبعادها الأفقية والعمودية هي ذات مقياس إنساني، في حين تكون تفاصيل الواجهات من فتحات ومداخل وعناصر أخرى كالشناشيل هي

مرقد صافي صفا اليماني ـ نموذج من العمارة النجفية

ذات أبعاد متناسبة في المقياس الإنساني، ولهـذا فإن العلاقـة بين المدينـة القديمة والإنسـان كانت تتميز بنـوع من الحميمية والألفة تحتضن الإنسان وتستوعبه، عكس كثير من أجزاء المدينة المعاصرة التي تكون خارجة عن المقياس الإنساني. وإن إحدى علاقات البيئة كالمقياس والتناسـب والتي نراهـا واضحـة ومحددة بمدينـة النجف، سـاهمت في خلق تلك الرغبة للتخلص من تأثيرات المناخ غيـر المرغوبة، فمقياس الأبنية وتناسـباتها ثابتة تقريبا مما أضفى جوا من التناسق والانسجام بين أجزاء بنية النسيج الحضري للمدينة المقدسة.

وأثـرت عمـارة الضريـح المقـدس بأبعادها الإنسانية وقيمها المفاهيمية الثابتة الكامنة في التكوين الشكلي لها بخلق حالة من التفـرد والتميز لعمـارة مدينة النجف وذلك لما لها من قيم وحقائق أساسية غير متغيرة تعاود الظهور بشكل متواتر في كل تقاليد جديدة، وتقابل الحقائق الزائلة التي تنقصهـا الديمومة ولا تظهر فـي التقاليد الجديدة رغـم انها عند الظهور تكون ذات صيت وشـهرة، وعـادة ترتبـط بالموضة الجديـدة والمؤقتـة، والتي يطلـق عليها البعض تسـمية قيم (كلاسـيكية) بالمفهوم العـام للمصطلـح، ومن الناحيـة الفكرية هناك توجهين حـول طبيعة مرجعية القيم المفاهيمية الثابتـة؛ ارتبط الأول بالتاريخ والمـوروث المعمـاري كأنمـاط تاريخية وثقافيـة ووفقـاً لهذا فان التفـرد والتميز لعمـارة مدينـة النجف لم يأتـي من خلال قطع الاسـتمرارية مع الماضي كالتاريخ، والتـراث، والأعراف، بل بالتمسـك بما يمكـن أن يطلق عليه التقاليد الكلاسـيكية المتمثلة بعمارة الضريح المقدس بما يعزز القدرة على الإبداع ويضمن ديمومته، بما لا يعني النسخ أو التقليد الحرفي بل بالمحاكاة الواعيـة وذلك لكـون المفاهيـم المنتخبة لعمـارة الضريـح إنمـا هي قيـم مرتبطة بالجوهر وليس بالمظهـر، ومجموعة من الأفكار والقواعد الثابتة التي لا تتغير، رغم تنوع واختلاف النتاجـات المتولدة عنها، ممـا يعني اسـتثمار فكرة النمـط Type كمفهوم يرتبط بالمبادئ والقيم المفاهيمية الثابتـة، وبالتحديد مفهـوم النمط الأعلى Archetype المتمثل فـي عمارة الضريح الشريف الذي يتضمن قوانين ضمنية توجه العمليـة الإبداعية المولدة لمـا هو جديد ومتفـرد من الأفعـال المعمارية وتوجيهها نحو الأنسنة لتحقيق الأصالة والاستمرارية الحضاريـة لها ومن ثـم الديمومة والبقاء. وارتبط الثانـي بالقيم المطلقة (اللازمانية واللامكانية) وتبعا لهذا الارتباط فان التفرد لعمارة مدينة النجف يأتي من خلال البحث عـن الحقائق المطلقة الخالدة التي تسـمو فـوق القيم المحليـة والثقافيـة المتوارثة تاريخياً ذلك لمصدريتها المطلقة ■

(١) الجوهري، الصّحاح في اللغة، باب أنس.
(٢) قرة، د. عبود، إنسـانية الإمام علي عليه السلام، مقال منشور على الانترنت.
(٣) العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي عليه السلام، دار الهلال، مصر، ص١٠٤- ١٠٥.
(٤) المصدر السابق، ص٢٢-٣١.
(٥) سورة الدخان / الآية ٢٩.
(٦) المعمـوري، عبـد الله سـعدون، الوظيفـة الأخلاقية للعمارة (أطروحة دكتوراه)، الجامعة التكنولوجيـة، قسـم الهندسـة المعماريـة، ٢٠٠٨م، ص١٧٠.
(٧) مجلـة ميزوبوتاميـا، مركـز دراسـات الأمة العراقيـة، العـدد ٥-٦ ، تمـوز، ٢٠٠٥م، ص٣١٢-٣١٨.

أمل الآمل

في ملتقى آمال وأفكار مجلة (ينابيع)

أ. د. محمد باقر فخر الدين ●
معهد أبحاث الأجنة وعلاج العقم/ جامعة النهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

التوبة: ١٠٥

ينابيع

وإذ يشرع كادر مجلة (**ينابيع**) مشكوراً بإصدار نتاجه الفكري في كل عدد من الأعداد الجديدة والتي يأمل القائمون على إخراجها نقل الأفكار العلمية وغيرها لإبداء التواصل المستمر بين مفردات الحياة وإعطاء الواقع حيزه الفعلي وتبسيط أو تذليل الصعوبات للوصول إلى سدة الحقيقة بما يضمن الدقة والأمانة وسرعة التواصل البناء. دعونا أيها القراء الكرام نرى كم ينبوعاً وأملاً من مجلة (**ينابيع**) نرجو ونلتمس، وأي أمل نحصل من المجلة بما يخدم القراء ويزيدهم إدراكاً لواقع الحياة، فللحياة ينابيع نستلهم منها أفكار وتأملات.. ندرك منها حقائق وأسانيد متوارية عن أفكارنا وأذهاننا لربما بسبب

واقع الحيــاة الصعب أو تلاشــي الوقت الملائم لإدراك الحقيقة لذا فلتكون مجلة (**ينابيع**) أمل الجميع للمستقبل.

فكل إصدار مطبوع تشــترك فيه ثلاثة محاور أساســية مترابطة فيمــا بينها هي الفكــرة والمبــدع (المفكــر أو الباحــث) والمتلقي، ولذلك تشــترك هذه المحاور بأكملهــا للوصــول إلــى هدف فعــال ذو غايــة متخصصــة يفتــرض بأنهــا نبيلــة الغايات ويؤدي نقص أي محور إلى شــلل المحورين المتبقيين وبالتالي عدم الإفادة منهمــا. ونتناول فيما بعــد كل محور على انفــراد وبشــيء مــن التفصيــل وبجوار فكري مبسط وبناء تتجاوب فيه كل أركان ومرتكزات الحياة وهو المبدع (القائمون بالعمــل مهما كان نوعه) والمتلقي (القراء الكــرام) والرابط بينهمــا (الفكرة وينبوع الأمــل)، وبما يبتعــد عن الســطحية في الطــرح والجدل الحواري كمــا يبتعد عن الفلسفة المعقدة:

١- الفكرة

الفكرة عبارة عن تساؤل ذهني يسبقه إشكال أو حصول مشكلة ذات حدث آني أو مســتمر أو مشكلة متسلسلة الحلقات، وقد تشــمل فرد أو أكثر وعلى مســتوى

اجتماعي واحد أو أكثر. فالفكرة في الأغلب تنتج أملا يخص هدفاً لفرد أو عائلة أو مجموعة متخصصة وتعطي بموجبها الوسيلة أو الحل الأمثل في ذلك الوقت كما يعتقد.

إن الفكرة ونتاجها قد تكون ذاتية أي تهم الشخص نفسه وبعبارة أخرى فكرة ذاتية، أو قد تكون الفكرة أوسع وأعمق وأكبر من أن تكون ذاتية. وقد تكون الفكرة ذات واقع آني تخص فترة وجيزة نظراً لوجود مسبب بسيط أو سطحية الفكرة وعلى العكس من ذلك سعة تطبيق الفكرة والأخذ بها لفترات زمنية متباعدة.

وعلى أي حال فالفكرة التي تطرح على أرضية النقاش لها مسبباتها وأهدافها ونتائجها، والعامل المحدد لما ذكر مسبقاً هو جدوى الفكرة ومخرجاتها وبكلمة أخرى الأمل من الفكرة التي هي الينبوع الرئيس والأهم لمجلة (**ينابيع**). لذلك قد تكون مسببات الفكرة للخروج إلى واقع أفضل ويعطي الأمل لمن هم بحاجة إليه أو تكون إحدى مسببات الفكرة هي للدخول إلى عالم غامض وإضاءة مسار معين أو بث منهج يخدم المصلحة العامة (أو الشخصية) أو حتى إحداث بريق لمنطق معين مما يعطي الأمل لمن يريد أن يبتغيه، وبذلك تكون الفكرة مسبار يغوص في عالم واسع الامتدادات.

إن المقياس الحقيقي لهدف أو أهداف الفكرة بما هو مطلوب من الفكرة أساساً والأمل المعقود عليها عندما يتاح لنتائج الفكرة أن تطبق على أرض الواقع وتتداخل مع نتائج الفكرة مدخلاتها من الأهداف الحقيقية بما يضمن صلاحية العمل بها، وقد تتداخل نتائج عدة أفكار لتصب في خدمة واقع معين أو المجتمع سواء عينة منه أو بأغلب قطاعاته. وقد يكون العكس هو تداخل عدة أهداف تؤدي إلى فكرة ذات أمل واحد أي أن الأمل هو تحصيل حاصل يأتي من أهداف متنوعة غير نوعية. وعلى النظير من ذلك لا يأتي الأمل الكبير بتاتاً كتحصيل حاصل لفكرة أو عدة أفكار متجمعة لدى (**ينابيع**) المجلة، وإنما يأتي بعد حصول رغبة عارمة لفكرة ذات منهج قويم تحتاج إلى صياغة براقة بأهدافها ومعانيها.

إن نتيجة كل فكرة هي الهدف الحقيقي لفكرة المبدع وتخدم هذه النتيجة المتلقي الذي كان الأساس كسبب للفكرة والتي شكلت محور تفكير المبدع، ويعتمد استغلال النتيجة على الكيفية التي يتم بها إطلاق سراحها من قبل المبدع واستقرارها على أرضية الواقع ومدى تقبلها من قبل المتلقي. لذلك يجب تنفيذ برنامج متكامل لاستغلال الفكرة من قبل كل من المبدع والمتلقي على السواء ويتضمن هذا البرنامج تفهم عام وواسع بين المبدع والمتلقي وكذلك معرفة آلية التفاهم بين كل منهما على السواء، وبالتالي يحصل الجميع على أمل للمتلقي وأمل للمبدع بأن تطبيق نتاج فكرته واقع غير محال.

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل بسيط من لدن قراء مجلة (**ينابيع**)؟

فهل كل فكرة هي أمل؟ أو بمعنى آخر هل أن كل أمل يكون فكرة؟

وحقيقة الإجابة قد تكون باتجاهين متناقضين هما نعم. إذا كانت الفكرة ذات هدف سامي أو بناءة والأمل أسمى، وعلى النقيض من ذلك تكون الإجابة كلا.. إذا

كان الهدف وضيع أو دنيء أو غير أخلاقي من فكرة هدامة أو تتصف بالخبث!

فعلى سبيل المثال وليس الحصر، فمسببات فكرة تشخيص العقم البشري وعلاجه نظراً لوجود مرضى مصابين بالعقم بشقيه الذكري والأنثوي والذي يهدف إلى الوصول بمرضى العقم إلى الحالة الأفضل وبما يمكن من إحداث الحمل لدى الزوجة وهو بدوره يعد النتيجة الأمثل لفكرة علاج العقم، وبالتأكيد هو الأمل الواسع لكل من المبدع (هنا القائمون بالتشخيص والعلاج) والمتلقي (مرضى العقم).

٢- المبدع (المفكر أو الباحث)

تتصف كلمة المبدع بكونها واسعة المعاني والمعطيات التي يمكن أن تنطبق على أي فرد يتصف بإمكانيته إحداث تغيير على المستوى الذهني أو العضلي أو غيرهما، ونأخذ وظيفة المبدع هنا بتفسيرها وشكلها الواسعين والذي نعني به أي من الاتجاهين فهناك إبداع يصب في صالح الخير أو يصب في خانة الشر، ويعتمد ذلك أصلاً على مسببات الفكرة وأهدافها وقانونيتها، وكذلك عوامل أخرى تتعلق بالمبدع منها الحالة النفسية وظروف المجتمع والتوجه العام للمتلقي وغيرها. ومن المناسب هنا أن نشير إلى أن هناك أفكاراً قد تلقى رواجاً منقطع النظير في مجتمعات معينة وتلقى فتوراً واسعاً في مجتمعات أخرى اعتماداً على البنية الفكرية والعقائد التي تميز هذه المجتمعات، إضافة إلى حجم ما يعانيه المجتمع من هذه المشكلة أو نتاجاتها أو كليهما معا.

إن المبدع الذي يطرح أفكاراً متنوعة الأهداف نظراً لاختلاف مسبباتها فهل يتوجب عليه أن يتمسك بفكرته بدون تجديد. فالمبدع الموهوب عليه أن يعرف كيف يسوق الفكرة ويروج لها والتي لها مؤيديها والمنادين بها وكذلك متقبليها والمبدع الذي يطرح فكرة في مجلة ينابيع عليه أن يلصق بها المتلقي التصاقاً بعد أن يفكر فيها جلياً ويصل بالفكرة إلى أمل أو حتى بصيص أمل يخدم وضعه ومصالحه وتوجهاته على تنوعها. ومن هذا المنطلق يتبادر إلى الذهن استفسار نوعي هل يجب على مجلة (**ينابيع**) أن تكون ينابيعاً للأفكار دائماً، وأي من الأفكار التي تطرح وتسوق إلى المتلقي والمجتمع.

إن التجديد في الأفكار التي تطرحها مجلة (**ينابيع**) يجعل من المستقبل أكثر

انفتاحاً وأملاً لكل من المبدع والمتلقي على السواء بما يؤمن التوسع في كل من الأهداف والاستنتاجات والتوصيات وسعة الأفق والخيال والأمل، أما من جانب آخر فالإبطاء أو التوقف عن تجديد الأفكار يؤدي إلى جمود لكل من المبدع والمتلقي غير منقطع النظير وبالتالي تتردى الأفكار إلى درجات متواضعة وتنحدر إلى مهاوي لتكون ضمن عصور قد عفا عليها الزمان وولى عنها الدهر إلى الأبد.

إن المبدع وأفكاره يمكن أن تضع المجتمع في موضع استقرار كون نتائج إبداعه تصب في خدمة أفراد المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر، في حين أن هنالك أفكاراً شاذة وبمجرد طرحها تسبب خلافاً متعدد الاتجاهات والأطراف بما يغير من الخارطة الفكرية أو تصادر حقوقاً لعقائد أي كانت نتيجة التغاضي عن أعراف وتقاليد المجتمع. فاكتمال أفكار المبدع لدرجة تقربها إلى أفق الكمال (إلى حد ما) على الرغم من صعوبة الأمر إلا أنه يعطي المبدع استحقاقاً عالياً وبجدارة في المجتمع بشكل عام والمتلقي بشكل خاص لكونه يمنح الأمل لكل من المتلقي والمجتمع.

إن الأمل الذي يتفكر فيه المبدع لا يقل مستوى عن ما يشعر به المتلقي، فالمفكر يشعر بـ(أمل) أو آمال لكثير من المتلقين في حين قد لا يرتقي إحساس المتلقي إلا بـ(أمله) في أغلب الأحيان. وهذا يتطلب من ينابيع المجلة طرح أفكار وآمال عديدة تتنوع بمضامينها وأهدافها لتتعانق مع متطلبات وأذواق المتلقين (القراء) وبالتالي حصول انسجام وتواصل غير منقطع النظير.

إن إظهار المبدع أفكاراً عديدة ومتنوعة على الرغم من اختلاف أهميتها ومستوى تطبيقها يؤدي بالمتلقي إلى انتهاج أكثر من فكرة ووسيلة وبما يلائم الهدف والأمل الذي يرغب به ولو بأقل تقدير. وبالتالي فهدف الفكرة هو الرابط لفكرة المبدع مع أمل المتلقي وهنا الأمل كبير جداً ويكون كمصب لمجلة (**ينابيع**) التي تضم بين طياتها نتاج الكثير من المبدعين ولفترات زمنية طويلة متتالية تهدف إلى حل مشكلة عميقة وتنخر في جسد الفرد والعائلة والمجتمع في العديد من الاتجاهات، وتساهم بإحداث إشكالات مزمنة في وضع المجتمع.

٣- المتلقي

يوصف المتلقي بكونه فرد أو أكثر يهتم بـ(أمل) خاص به أو يشمل مجموعة معينة يتخذ موقعاً لمحتوى ينابيع مجلة (ينابيع)، ويتبادل كل من المتلقي والمبدع الفكرة والأمل فهما الرابط الأمثل لحصول التفاهم بينهما، لذلك من المهم أن تكون الفكرة منظمة جداً وعلى قدر عالي من التوازن لكي تكون نتائجها ذات مصداقية عالية وتضمن أن تشكل أملاً صريحاً ومقبولاً لكثير من المتلقين. ويحتاج المتلقي إلى ضمانات وتأكيدات بعدم حصول ضرر لاحق نتيجة تطبيق الفكرة وان كانت هي الحل الأول أو الأمثل له وهذه مسؤولية كبيرة تتحملها أهداف ومضامين مجلة (**ينابيع**) لتكون ينبوعاً صافياً لكل القراء على اختلاف أذواقهم ومشاربهم. ومن كل هذا وذاك يتضح لنا أن تكون الفكرة جذابة وبمنطق

معقول وبأهداف جدية وذات لمسات متجددة تتناسب ورؤى العصر يطرحها مبدع يشعر بالمتلقي بعمق بما يمكنه من الولوج إلى أفكار المتلقي أو حتى دغدغة أفكاره على أقل تقدير ليكون المبدع ناجح على المستوى الاجتماعي وفكرته لن تكون كحدث عارض لفترة وجيزة وإنما منهاج عمل لفترة ليست بالقصيرة للمتلقي الذي يشعر بتماشي مخطط الفكرة مع منهاج إرادته وطموحه وهو هدف مجلة (**ينابيع**) وبالتالي الأمل الذي يأمله أو إمكانية الحصول عليه سواء كان الأمر سهلاً أو بمشقة.

أما المتلقي فهو يمتلك كل الأحلام كما يمتلك كل التساؤلات ليخرج بـ(أمل) محدد وواضح تتركز فيه كل اهتماماته وإرادته عند افتتائه لمجلة (**ينابيع**) وآمالها. ويصنف المتلقي بكونه أما طموح أو كسول. فالمتلقي الطموح يحتاج إلى قراءة متطورة ومتنوعة ذات إبداع تفرزها وتنسجها فكرة عميقة بمسبباتها وأهدافها. ويتميز المتلقي الطموح بالجرأة عند استقبال الفكرة ولذلك قد يكون الفائز الأول بـ(الأمل) والهدف الخاص لمجلة (**ينابيع**) والتالي تنتهي أزمته التي تخص موضوعاً علمياً معيناً. أما المتلقي الكسول فهو يحتاج إلى قراءة مكثفة للفكرة المطروحة ولذلك يظهر هنا دور المبدع الذي عليه أن يعثر على الطريقة الأمثل لكي يقنع المتلقي للأخذ بمقترحات الفكرة وبمشروع متكامل ويظهر له الأمل بشكل منظور ورائع وممكن تحقيقه من دون حصول أضرار أو إشكالات أو تخفيضها إلى أدنى المستويات، وفي حالة عدم استغلاله لهذه الفكرة فلن يحصل على الأمل الذي يحتاج إليه وبكلام آخر يجب أن تكون مجلة (**ينابيع**) متناغمة مع آمال القراء وتوفر لهم ينابيع متنوعة من الإرادة والوسائل والمضمون بما يجعل القراء أقرب إلى التوحد والاندماج وبالتالي الارتقاء بالفرد والمجتمع كمتلقي.

ومن كل ما سبق يتضح أن المتلقي يحتاج إلى قيادة بارعة يتولاها المبدع وأفكاره بينابيع (الأمل)، وكلما كان الأمل أكبر وأفضل كلما كان المتلقي مشدوداً إليه بقوة وحزم. فـ(الأمل) الذي يربط عدداً من المتلقين يكون أصعب ويحتاج إلى فكرة مبدع متطورة وتلائم مطالب المتلقين عموماً بشكل أو بآخر وتدعمهم للوصول إلى الهدف الحقيقي لهم وبالتالي تحقيق استقرار معنوي للمتلقي عبر تحقيق مطالبهم.

فتأمل عزيزي القارئ كم أملاً لك من ينابيع أفكار متنوعة نتجت من بحار أفكار المبدعين المتأملين عند ملتقى مجلة (**ينابيع**)، فبارك الله بجهود وينابيع المبدعين لنشرهم ثقافة الوعي والعمل الناجح والأمل وسيجزيهم الله كل الجزاء والحسنات والثواب. إليك.. عزيزتي مجلة (**ينابيع**) الغراء حبي لك منحني حب التفكير والتفكر.. رغبتي فيك ألهمتني رغبة في العلم والتوسع في العطاء.. وخير ما أختتم فيه كلامي هو دعائي لك بالعمر المديد ودوام التجدد وقوة الشباب في العطاء وان تعتمري أزهى ألوان الحياة كما تحملين أرقى الإبداعات، ففيك علمت أن للحياة وللإيمان وللإرادة وللحب (**ينابيع**) ■

الشمس والقمر
لم يعودا رفيقين!

د. عبد الأمير المؤمن •
باحث في علم الفلك

النظرة الساذجة لشمس والقمر

ينابيع

مُنذُ القدم وجّه الإنسان نظرة نحو السماء، حيث الشمس والقمر، ومُنذ ذلك الوقت، كان القمر والشمس كائنين... حييّن، فيهما روحٌ، كروح الإنسان أو شبيهة بذلك، كانا ذكراً وأنثى، أو أخاً وأخته، أو زوجاً وزوجته، هكذا تصوّر الإنسان البدائي الشمس والقمر... وراح ينسج الإنسان من خياله وأوهامه ما شاء أن ينسج مُبتعداً كُل البعد عن الحقيقة والعلم، والمنهج الصحيح في التفكير وكانت الحصيلة التي أُلتقطت من الكهوف، والمدافن، والمعابد، وعادات الأقوام المُتخلفة المعزولة عن العالم، كانت مادة خُرافية وأفكاراً وهمية، تلك التي نقرأها في الكُتُب التي تحدثت عن الحضارات البدائية.

وكانت الضحيّة، المادة العلمية، حيث وصلتنا مشوهة، مشوبة بالخرافة، وكان القمر والشمس والنجوم والمُذنبات أبرز تلك الضحايا، وأوضحها في عقل الإنسان البدائي.

فالبدائيون كانوا يُقابلون بين الشمس والقمر على أساس اختلاف الجنس (الذكورة والأنوثة)، مع عدم اتفاقهم على أي هو الذكر، وأية هي الأنثى، وكذلك عدم اتفاقهم على طبيعة العلاقة بين هذين الجرمين الحييّن، هل هي علاقة بين زوجين، أو بين أخوين وهكذا..؟!

ومن الطريف هُنا أن نذكر أنهُ عند قبائل الهنود أسطورة خُرافية تقول: إن الشمس هي الزوج، والقمر هو الزوجة، وإنما أنجبا ابناً جميلاً، يتبادلان تربيته ورعايته. وحين يحتضن الأب (أي الشمس) ذلك الابن تحتجب الشمس عنا، ويحدث الكسوف الشمسي، بينما يحدُث خسوف القمر حين تحتضن الأم (أي القمر) ابنها..!! كان ذلك بناء على افتراض الذكورة للشمس، والأنوثة للقمر. ومن خلال تلك المُقابلة كان الزواج والإنجاب. وغير تلك الصورة حملتها أفكار بعض الهنود الحمر في كندا، حيث اعتقدوا أن الشمس والقمر أخوان مُتحابان ففي أساطيرهم يتحدثون عن اثنين من الهنود أمكنهُما القفز إلى السماء، فوجدا نفسيهما فوق أرض جميلة مُضاءة بنور القمر الفُضّي، ولم يلبث القمر أن أقبل عليهما (أي الهنديين) من وراء التلال في شكل امرأة مُتقدمة في السّن، ولكن ذات وجه أبيض جميل، فتكلّمت إليهما في رقة ولُطف وصحبتهُما إلى أخيها (الشمس)، الذي حملهُما معه في رحلته اليومية، ثُم أوصلهُما أخيراً إلى أرض القبيلة.

هكذا كانت صورة الشمس والقمر لدى الأقوام البدائية سواء الأقوام القديمة في التأريخ أو الأقوام البدائية المعزولة، والتي لا تختلف كثيراً عن تلك البدائية القديمة.

ولكن كيف نشأ هذا الثُنائي التاريخي بين الشمس والقمر... وما هو القاسم المُشترك بين هذه الأخوة، وهذه الزوجية، أو العلاقة عموماً..؟!.

إننا نفهم ـ في الوقت الحاضر ـ أن الشمس في واد، والقمر في واد آخر، الشمس شُعلة نارية وهّاجة، والقمر جسم أرضي تُرابي بارد، وأن الشمس تكبُر الأرض من (١،٣٠٠،٠٠٠) مرة، والأرض تكبر القمر حوالي (٥٠) مرة، إذن أين وجه التلاقي بين جُرمين يختلفان في النوع لا في الدرجة، إن صحّ التعبير؟!.

إن وجه التلاقي حدّدتهُ المرحلة الحضارية التي عاشتها تلك الأقوام البدائية والأقوام القديمة. فلا نتوقع من العين المُجردة البسيطة أن تُدرك الفرق الحقيقي بين الشمس والقمر، أنهما جرمان مُتشابهان، والجامع بينهُما هو ذلك الوضوح، وذلك المثول الدائم، وتلك الحركة الدائبة، وذلك الحجم الظاهري، المُتقارب المُشاهد بالعين المُجردة، ولا أكثر من ذلك.

الشمس والقمر ليسا مُتشابهين

الشمس تختلف عن القمر، بكُل ما تحمل كلمة الاختلاف من معنى، حيث أدركت الحضارات القديمة الشهيرة بعض ذلك الاختلاف، وأدركنا نحنُ ـ أهل الحضارة المُعاصرة والحديثة ـ الاختلاف كُلّه، وطبيعته وتفصيلاته، وأصبح الفرق حقيقة علمية ثابتة، بل من أوليات العلم وعلم الفلك خاصّة. فلم يعُد أحد طالباً كان أو أستاذاً أو عالماً يتحدّث عن تشابُه علمي بين الجُرمين (الشمس والقمر)، إلاّ من باب المجاز أو الأدب والشعر...

لقد أدركت الحضارات القديمة الكُبرى، الحضارة الصينية والهندية والفارسية والبابلية والمصرية، واليونانية وغيرها، أدركت فروقاً عديدة بين الشمس والقمر فإذا أخذنا الحضارة اليونانية ـ كأهم حضارة علمية قديمة ـ وجدنا أنها عرفت أن القمر أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض، حيث يقع في الفلك الأول الذي يلتف حول الأرض، في حين تقع الشمس في الفلك الرابع. وأدركت أن الشمس أكبر من القمر. بل وأكثر من ذلك ذهب الفلكي اليوناني (أرسطو) الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، إلى أن الشمس تقع في مركز المجموعة الشمسية، وأنّ الأرض والقمر تابعان يدوران حول الشمس، وهذا سبق علمي مُهم[1].

القُرآن الكريم يُشير إلى الحقيقة

الحضارة الإسلامية ميّزت تمييزاً واضحاً بين الشمس والقمر، حيث اعتمدت أساساً على منهج علمي في دراسة النجوم والكواكب، فأنشأت المراصد واستخدمت آلات فلكية مُتطورة حصلت من خلالها على معلومات فلكية قيّمة.

لقد استمدت الحضارة العلمية الإسلامية عناصرها العلمية من خلال حث القرآن الكريم المتواصل على اكتساب العلم كما في قوله تعالى: (**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**)[2] وقال أيضاً: (**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**)[3] وغيرهُما الكثير، وكذلك ورد حث عليه من خلال الأحاديث النبوية وقد تأثر المُسلمون بذلك كُلّه فقدّموا إنجازات علمية مُهمّة.

لكن قبل أن يُقدم العُلماء المُسلمون أفكارهم، وإنجازاتهم الرائعة في الفلك والشمس والقمر خاصة، أشار القُرآن وبأسلوب بلاغي فريد عن العلاقة بين

الشمس والقمر، وأوضح الاختلاف بين هذين الجُرمين الجميلين قال تعالى في مُحكم كتابه الكريم: (**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً**)[٤]، والفرق واضح هنا بين السراج الذي يشع إشعاعاً ذاتياً، والمنير الذي لا يدل على الإشعاع الذاتي بالضرورة. وقال أيضاً: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً**)[٥] مُفرقاً بين ضياء الشمس ونور القمر، فقد ورد (أنّ الضوء ما انتشر من الأجسام النيّرة، ويُقال ضاءت النار)[٦]، أما النور فهو أعم، قال الراغب أيضاً: (إن الضوء أخصُّ من النور)[٧]. إضافة إلى ذلك، أننا نستشف فرقاً من خلال الآية الشريفة (**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**)[٨]. وهناك آيات أخرى يُمكن أن تؤكّد ذلك.

أما عُلماؤنا المُسلمون، فقد قدّموا معلومات مُمتازة عن الشمس والقمر فأدركوا أبعادهما بالنسبة إلى الأرض، وأدركوا أحجامهُما، وإن كانت غير دقيقة، لكنها تدل على الجُهد العلمي الواضح، فالشمس أبعد من القمر بالنسبة إلى الأرض، وأكبر حجماً وأنها تمّد القمر والكواكب السيّارة بالضوء، وقد ذكر زكريا القزويني أن حجم الشمس ١٦٦ مرة قدر حجم الأرض، وأن القمر جزء من ٣٩ جُزءً أو رُبع جزء من حجم الأرض. وهُناك معلومات أُخرى يطول ذكرها[٩].

العلم الحديث يكتشف الحقائق

في العصر الحديث، توافرت صورة واضحة للفرق بين الشمس والقمر، حيث قدمت الأجهزة العلمية معلومات مُمتازة ومُذهلة أحياناً، أوضحت ما كان قائماً في العصور السابقة... وفرّقت بين جُرمين (مُتشابهين) في النظرة السطحية، إلى جُرمين لا علاقة لأحدهما بالآخر، والحقيقة أنّ لا علاقة ولا ارتباط بين الشمس والقمر، لا في الطبيعة ولا في الحجم ولا في المركز، فالشمس حسب العلم الفلكي الحديث، جُرم سماوي مُشعّ غازيّ مُلتهب، يشع إشعاعاً ذاتياً غير مُكتسب، يأتي من خلال تحول الهيدروجين إلى هليوم، أي أن ضوءهُ وحرارتهُ يأتيان من الفرق الناتج عن تحول الهيدروجين إلى هليوم، والشمس في حقيقتها نجم مُتوسط بين النجوم المُنتشرة في السماء، تقع في مركز النظام الشمسي (Solar System) في مكان ما في الكون، تجري مع أبنائها الكواكب السيّارة (عُطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل...) وهي بمثابة الأم لكُل أفراد المجموعة الشمسية، الكواكب وأقمارها. والشمس كبيرة جداً بالنسبة إلى أبنائها وأبناء أبنائها (الأقمار) كما ذكرنا القمر جُرم صغير، ليس تابعاً للشمس كما هو حال الكواكب السيّارة، وإنما هو تابع لتابع أي أنهُ تابع للأرض، والأرض تابعة للشمس وطبيعة مادته أرضية تُرابية، سهول، جبال، أودية، وهو عاكسٌ لأشعة الشمس، وليس لهُ أيّة صلة بطبيعة الجسم المُشع لا من بعيد، ولا من قريب ■

---

(١) المؤمن، عبد الأمير، التراث الفلكي ص١١١.
(٢) سورة طه، الآية ١١٤.
(٣) سورة الزمر، الآية ٩.
(٤) سورة الفرقان، الآية ٦١.
(٥) سورة يونس، الآية ١٥.
(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٣٠٠.
(٧) م. س، ص٥٠٨.
(٨) سورة يس، الآية ٤٠.
(٩) القزويني، زكريا، عجائب المخلوقات، ج٢ ص٦ ص١٤.

قراءة وردود في تراثنا

حسين جودي كاظم الجبوري •
دائرة الشؤون القرآنية/ مؤسسة شهيد المحراب

سرني ما نشرته ينابيع العدد (٢٦) ص١٠٦ مقالة بعنوان (قراءة في كتاب بهجة الخاطر ونزهة الناظر...) للأستاذ سعدون عبد الكاظم جاسم، وابتهج كثيراً عندما أرى مجلاتنا الثقافية والعلمية تبدي اهتماماً بالتراث الإسلامي والعربي، ذلك التراث الذي يشكل أساس بناء الحضارة وانطلاقاتها، والاهتمام به هو سمو للأمة على غيرها من باقي الأمم، والمخطوطات حلقة منه، وجزء من سلسلة التاريخ خصوصاً تاريخنا الشيعي الذي عصفت به السياسات وضيعت الأيام والدولات بعضه، فإن تتبع آثاره يمهد الطريق لإحيائه والإفادة منه.

قرأت ما كتبه الأستاذ سعدون وشكر الباري جهوده في سبر أغوار رسالة الفروق اللغوية للشيخ يحيى المفتي البحراني وأنا في الحقيقة لا أريد سوى الاستدراك على بعض الأمور ورفع بعض الغموض عن حياة ومؤلفات الشيخ يحيى البحراني الذي عشت معه طويلاً وكان محط اهتمامي عند تحقيق رسالته الأخرى تذكرة المجتهدين وهي رسالة في معرفة مشايخ الشيعة.

فالكلام إذن سيكون عن لمحات من ترجمة الشيخ البحراني ثم عن بعض مؤلفاته

طروحات عامة

قراءة في كتاب..

بهجة الخاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغوية والاصطلاحية

تأليف: الشيخ يحيى بن حسين البحراني (القرن العاشر الهجري)
تحقيق: السيد أمير رضا عسكري زاده

سعدون عبد الكاظم جاسم •
باحث في التراث العربي

كتاب (بهجة الخاطر ونزهة الناظر) أثر من آثار أحد أعلام الشيعة وأقطاب الفقه واللغة في القرن العاشر الهجري، ولعل الكتاب يحتل مكانة عالية ومنزلة سامية في عالم التأليف، وذلك يعزى لكونه عالج ظاهرة رائج ميداناً قل من خاض غمار البحث والتأليف فيه وهي ظاهرة (الفروق اللغوية والاصطلاحية).

ولعل أول من فتح باب هذا الميدان وتزعم إمامته هو أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتاب مستقل هو (الفروق في اللغة)، فضلاً عن وجود مجاولات جادة لابن قتيبة وقدامة بن جعفر وابن الأنباري والكتخمي والجوهري والثعالبي، وهؤلاء يعدون من أساطين العلماء وجهابذة اللغة، ولكن أبا هلال العسكري هو أبرز من حذق في هذا الفن وفاق غيره في هذا المضمار، إذ حوى كتابه ما قارب (الألف) من الفروق اللغوية موزعة على (ثلاثين) باباً. وكتاب (بهجة الخاطر ونزهة الناظر) للشيخ يحيى بن حسين بن عشيرة البحراني

ثم ما ورد في هذه المقالة المنشورة.

أما عن حياة وترجمة الشيخ يحيى بن حسين البحراني فإن الأخ المحقق لرسالة بهجة الخاطر السيد أمير رضا عسكري زاده لم يعط اهتماماً كبيراً لحياة هذا الفقيه ولم يترجم له بشكل جيد خصوصاً أن هناك اختلافاً في اسمه لوجود ثلاثة عناوين مختلفة نقلها صاحب كتاب (رياض العلماء المحقق عبد الله أفندي) الأول ورد فيها بأنه (يحيى بن حسين بن عشيرة بن ناصر البحراني) رياض العلماء (ج٥ ص٣٤٣)، والآخر بأنه (يحيى بن حسين بن علي بن ناصر) المصدر السابق (ج٥ ص٣٤٥) والثالث هو (يحيى المفتي البحراني) المصدر السابق (ج٥ ص٣٨٠)، ونحن أثبتنا في مقدمة تحقيق كتاب تذكرة المجتهدين إن هذه العناوين هي لشخص واحد لأسباب منها: ما ورد في حياته بأنه من نواب المحقق الكركي في بلدة (يزد) وهذا يوافق ما ورد للشيخ يحيى بن حسين بن علي من نزوله بلدة (يزد) وهو يوافق تسميته بالشيخ يحيى المفتي البحراني، وكلهم من البحرين وهو الموطن الأصلي لصاحب تذكرة المجتهدين وبهجة الخاطر.

فهو إذن الشيخ يحيى بن حسين بن عشيرة بن ناصر السلمابادي البحراني اليزدي المفتي، كان في الأصل من قرية سلماباد من قرى البحرين، حسن الظاهر من وصف صاحب رياض العلماء ج٢ ص١٧٩ إياه بالسلمابادي عند ذكر إجازة شيخه له الشيخ حسين بن مفلح الصيمري. وسلماباد على ما هو معروف في هذا الزمان قرية تقع في المنطقة الوسطى التابعة للمناطق الإدارية في البحرين (راجع كتاب أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرناً ج١ ص٣٢) غير أنه نزل يزد في إيران

عندما كان نائباً عن أستاذه المحقق الكركي فيها.

أما ولادته لم تعثر عليها بالمصادر التي بين أيدينا إلا أنه ممكن أن يقال: إن ولادته كانت في أواخر القرن التاسع الهجري وهذا يظهر من عبارته في رسالته تذكرته المجتهدين. بحق صحبته وتلمذته على يد الشيخ حسين الصيمري حيث نص العبارة هكذا: (وقد استفدت منه وعاشرته زماناً طويلاً ينيف على ثلاثين سنة...) الخ كلامه﵀ في صورة المخطوط التي عندنا. فلو أخذنا (٣٠سنة) فقط من مدة المعاشرة وأنقصناها من تاريخ وفاة شيخه الصيمري التي هي سنة (٩٣٣هـ) فيكون سنة (٩٠٣هـ) هي بداية الصحبة بينهما فلا يمكن أن تكون المعاشرة ابتدأت وهو في سن الثالثة على فرض أن تكون ولادته سنة (٩٠٠هـ) فلابد أن يكون عمره أكثر من ذلك لأن ظاهر لفظ (استفدت منه) هناك قصد واختيار وهذان غير متوفرين لابن ثلاث سنين فيحتمل ولادته في أواخر القرن التاسع الهجري وبقي إلى العاشر حتى صار راشداً ومؤهلاً لأن يكون محط عناية الشيخ الصيمري.

أما تاريخ وفاته لم نعثر عليها، وأما ما ذكره الأستاذ سعدون عند نقله قوله: (المتوفى في القرن العاشر الهجري) (ينابيع ص١٠٨) وإن كان لعله المقصود هو تحديد عصر المؤلف بأنه من علماء تلك الفترة وهو القرن العاشر، لكن ينبغي تحديدها بأنها في العقود الأخيرة من القرن العاشر وليس في بدايته أو منتصفه فالشيخ يحيى البحراني قد كتب بخطه إجازة للشيخ عبد الجليل بن أحمد الحسيني وأرخها في (١٣ ربيع الثاني سنة٩٧٠هـ) راجع طبقات أعلام الشيعة لآغا بزرك الطهراني القرن العاشر ص١١٨-١١٩ فهو قد كان حياً في هذا التأريخ ويحتمل أن يكون عمره الشريف قرابة (٨٠) سنة، والله تعالى العالم.

وأما ما ورد في موسوعة طبقات الفقهاء ج١٠ ص٢٩٧ فإن وفاته كانت بعد ٩٧٠هـ بقليل.

وأما الحديث عن مؤلفاته فبالإضافة إلى ما ورد في المقال المنشور له آثار أخرى:

١- كتاب الشهاب في الحكم والآداب وهو يشتمل على ألف حديث نبوي مرتب على (٣٠) باباً من جمع الشيخ يحيى البحراني (أعيان الشيعة ج١٠ ص٢٨٨) وطبع هذا الكتاب في مجموعة سنة (١٣٢٢هـ) في طهران، راجع ذخائر التراث العربي والإسلامي دليل المخطوطات العربية المطبوعة حتى عام١٩٨٠، ج٢ ص٧٦٥.

٢- الشفا فيما روي عن المصطفى في علي المرتضى صرح به السيد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل نقلاً عن رياض العلماء فراجع تكملة الأول ج٦ ص٢٤٤ تحقيق حسين علي محفوظ وآخرون.

٣- وللشيخ يحيى البحراني مجموعة كتبها بخطه يذكر فيها مؤلفات أستاذه الشيخ حسين بن مفلح الصيمري وهي في مكتبة ملك بطهران رقم ٢١٤٧ وقد نقلها محقق كتاب غاية المرام في شرح شرائع الإسلام ج١ ص١٠.

٤- له تعليقة على رسالة اللمعة الجلية في معرفة النية للشيخ أحمد بن فهد الحلي المتوفى (٨٤١هـ) ذكرها صاحب رياض العلماء (ج٥ ص٣٤٥) وذكرها صاحب الذريعة أيضاً ج١٨ (ص٣٥٠) رقم٤٣٧.

٥- له فوائد متفرقة فقهية منها في سند قضاء الصلاة، ذكره في رياض العلماء ج٥ص٣٤٥.

٦ـ كتب الشيخ البحراني بخطه رجال النجاشي على ما يظهر من مجلة معهد المخطوطات العربية مج٤ ج٢ ص٢٠٩.

أما ما ورد في المقالة السابقة المنشورة، فيظهر أن هناك أخطاء في عناوين بعض الكتب المذكورة، منها ما ورد في ص١٠٨ تحت رقم (١٠) بعنوان (كتاب اللباب في إثبات معرفة الأسباب) والصحيح هو (الأنساب) وليس (الأسباب) كما ورد في المجلة وكذلك تحت رقم (١٣) في الصفحة نفسها (رسالة في علم البراءة).

والصحيح هو (القراءة) وليس (البراءة).

أما ما ذكره صاحب المقال في رقم (٢٠) تذكرة المجتهدين ورقم (٢١) تاريخ مشايخ الشيعة فالأستاذ سعدون لعله قد نقلها من مقدمة تحقيق بهجة الخاطر للأخ السيد أمير رضا عسكري والكلام هنا يكون مع السيد عسكري زاده الذي لم يفرق بين عنواني الكتابين فهما بالحقيقة مصداقان لكتاب واحد عرف بتذكرة المجتهدين واشتهرت هذه الرسالة بعناوين أخذ منها: (رسالة مشايخ الشيعة) أو (تاريخ مشايخ الشيعة) لأنها رسالة خاصة يذكر أحوال وبعض تراجم مشايخ الشيعة وسيرتهم وهذه الترجمة والسيرة عادة تكون قسم من أقسام التاريخ وقد أثبتنا ذلك في مقدمة تحقيقنا لرسالة تذكرة المجتهدين التي ستطبع أخيراً إن شاء الله تعالى وتظهر للنور.

أما رسالة بهجة الخاطر ونزهة الناظر فقد كنت عازماً وناوياً تحقيقها وقد جمعت بعض نسخها ولكن فوجئت بتحقيقها من قبل السيد أمير رضا عسكري زاده في مجمع البحوث الإسلامية مشهد إيران لسنة ١٤٢٦هـ. فعزفت عنها وضعفت همتي في إخراجها من جديد، وقد صورت منها نسختين: الأصلية بخط المصنفﷺ وقد اعتمد عليها السيد عسكري، والأخرى من مكتبة العلامة الأمينيﷺ وهو لم يعثر عليها ■

أجوبة مسابقة العدد (٢٨) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ. أبو ثمامة

السـؤال الثـاني: ب. أبو العلاء المعري

السـؤال الثالـث: ج. الإمام علي الهادي عليه السلام

السـؤال الرابـع: أ. شديدة الحياء

السؤال الخامس: ج. ثلاثة

السؤال السادس: ب. يحيى بن زكريا

السـؤال السـابع: أ. ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾

السـؤال الثامـن: أ. البصرة

السـؤال التاسـع: ج. الطف

الفائز بالجائزة الأولى: مهدي چياد مهلهل/ بغداد ـ مدينة الصدر.

الفائزة بالجائزة الثانية: رجاء كاظم محمد/ الديوانية ـ حي الصدر ٢.

الفائزة بالجائزة الثالثة: ندى چخيم ياسين/ النجف الأشرف ـ الكوفة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٣١)

١ مريسيع، مصغر مرسوع: بئر ماء بخزاعة، وقعت عنده معركة بين المسلمين وبني خزاعة بقيادة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار، فما اسم تلك المعركة؟

أ ـ حمراء الأسد

ب ـ واقعة بني المصطلق

ج ـ واقعة بني قريضة

٢ «**يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه، وأيقظني إلى ما منحني به من مننه وإحسانه**»، فقرة من دعاء معروف لإمام من أئمة الهدى عليهم السلام، فما اسم الدعاء؟

أ ـ دعاء يوم عرفة

ب ـ دعاء الصباح

ج ـ دعاء الجوشن الصغير

٣ فاتح جلولاء هاشم بن عتبة بن مالك الزهري، كان من أشد الموالين للإمام علي عليه السلام، حتى استشهد بين يديه في معركة صفين، فما هو لقبه؟

أ ـ ذو الشهادتين

ب ـ المرقال

ج ـ النصوح

٤ **خلق الله آدم من تراب**
فهو ابن له وأنت أبوه

بيت من قصيدة يشير فيها الشاعر إلى كنية أبي تراب، التي كانت أحب الكنى للإمام علي عليه السلام، فمن هو الشاعر؟

أ ـ السيد الحميري

ب ـ الصاحب بن عباد

ج ـ عبد الباقي العمري

كوبون مسابقة

ينابيع ٣١

الاسم الثلاثي:

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ مقابر قريش، أو ما تسمى اليوم بـ«**الكاظمية**» حيث دفن الإمام الكاظم عليه السلام فنسبت له، وقد عرفت باسم آخر، فما هو؟

أ ـ مقبرة دار السلام

ب ـ مقبرة الكرخ

ج ـ مقبرة باب التبن

٦ كان يوم ١٢ رجب سنة ٣٦هـ قد شهد حدثاً هاماً في تاريخ الكوفة، فما هو الحدث؟

أ ـ القبض على حجر بن عدي

ب ـ اتخاذ الكوفة عاصمة

ج ـ تولي الأشعري حكمها

٧ أدعية السر أو الأدعية القدسية، مجموعة خصّ الله تعالى بها نبيه محمد صلى الله عليه وآله ليلة الإسراء والمعراج، فكم دعاء ضمت هذه المجموعة؟

أ ـ ٢٩ دعاء

ب ـ ٣١ دعاء

ج ـ ٣٣ دعاء

٨ محمد بن أبي بكر، ربيب الإمام علي عليه السلام، قتل عندما أرسله عليه السلام إلى مصر إثر تآمر معاوية وعمرو ابن العاص على قتله، فمتى قتل؟

أ ـ ١٤ صفر ٣٨ هـ

ب ـ ١٥ رمضان ٣٩ هـ

ج ـ ١٦ شوال ٤٠ هـ

٩ «**أخلاق أهل البيت عليهم السلام**»، كتاب يتضمن نماذج فريدة من أخلاقهم، فمن هو مؤلف الكتاب؟

أ ـ السيد مهدي الصدر

ب ـ السيد محسن الأمين العاملي

ج ـ الشيخ باقر القرشي

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/شوال/١٤٣٠هـ.**